603
٦٠٣

قلوب

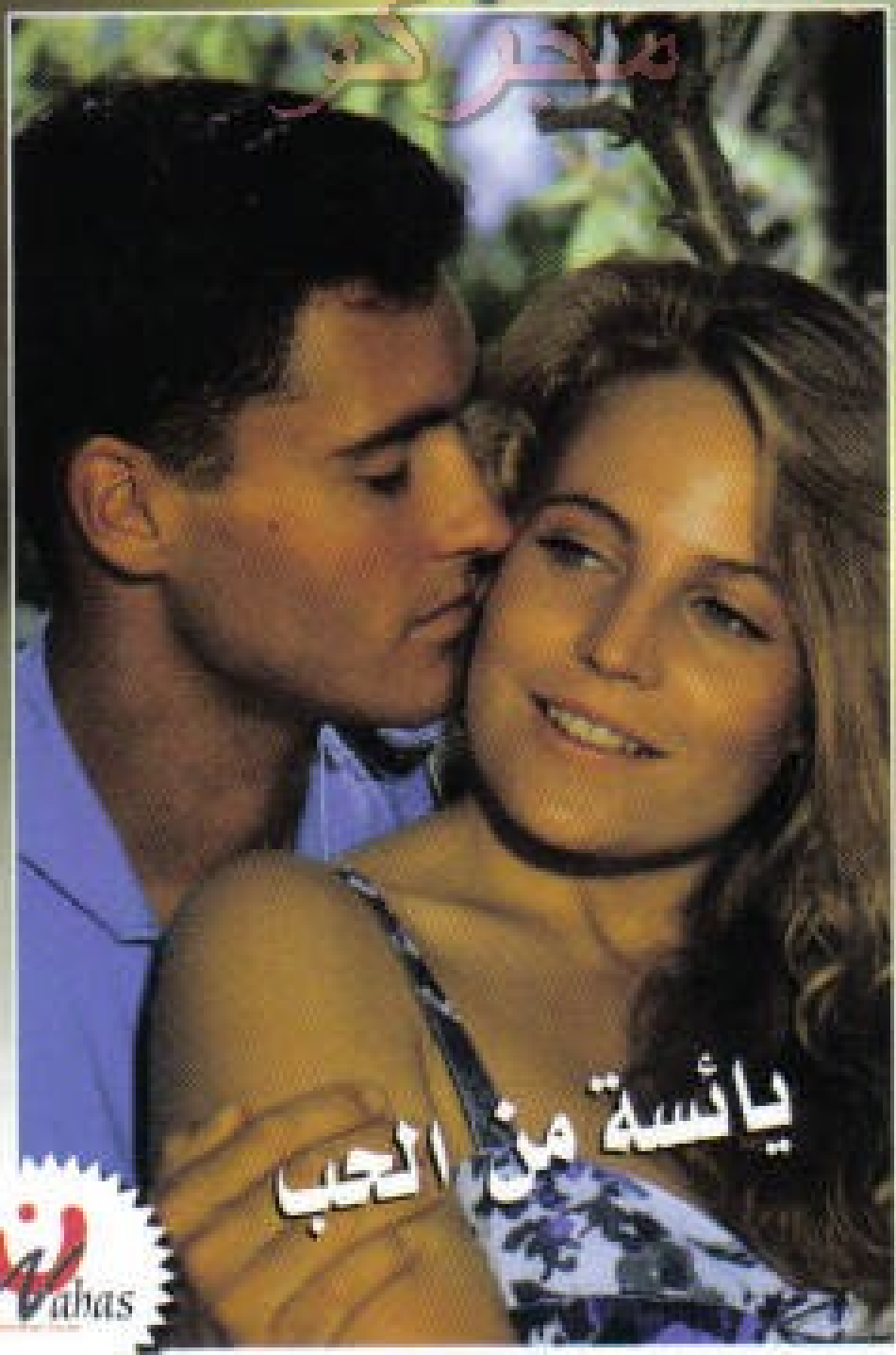

يائسة من الحب

Nahas

صادر عن دار م. النحاس

liilas.com

يائسة من الحب

لا يبدو أن أحداً في المدينة لا يعرف قصة حياتها. فتاة محلية تلتقي رجلاً واثقاً من نفسه، هرب بعيداً بكل أموالها. الآن كل ما تريده هيلاري هو الاختباء من العالم، ومن ماضيها. وكانت تفعل ذلك تماماً الى ان انتقل ليو الى جوارها.

البؤس رفقة جيدة، خصوصاً إذا كان البديل هو الوقوع في الحب مع غريب قاس آخر.

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34708-2

يائسة من الحب

استفزها قائلاً:«اسمعي، حدثك معي لن تحل مشاكلك. اخرجي من برجك العاجي يا هيلازي، قبل ان يفوت الاوان، قبل ان تتحولي حقا الى امرأة متغطرسة التي كنت للحظة خلت تبدين مثلها.»

بابتسامة ساخرة لشكلها الغاضب الذي يغلفه الصمت، خرج من البيت. في تصميم مفاجيء لتكون هي صاحبة الكلمة الأخيرة، لحقت به. وفتحت الباب صارخة فيه:«انا لست متغطرسة! وان كنت كذلك، فلا شأن لك!»

liilas.com

الفصل الأول

مجرد

«صباح الخير.»

ردت تحيته بحقد:«صباح الخير.» وأخذت تلتقط غسيلها المنشور وترمي به في سلة الغسيل القريبة من قدميها على الأرض.

«ألا تعتقدين انها سوف تمطر؟»

لم تقل شيئا، وصممت على ذلك لأنه مجرد دخيل ويفعل ذلك للازعاج فقط، لتجد بعد ذلك انها غير قادرة على ان تكون قاسية كما ارادت.

تمتمت:«محتمل.» مولية ظهرها له، التقطت سلة الغسيل عن الارض وهمّت بالانصراف الى المنزل. سمعته يضحك.

التفتت ونظرت إليه، وبحنق ابعدت نظراتها عندما ابتسمت عيناه الرماديتان الدافئتان لها. انقبض قلبها، هرعت الى المنزل وصفقت الباب، ولكن تلك النظرة العابرة كانت اكثر من كافية لها لتنتبه الى حقيقة انه خلع سترته غير عابىء بالرياح القارسة التي تجعل اي انسان يرتجف. وكان يحفر في قطعة ارض المزروعات الخاصة بالكولونيل، وحركاته الرشيقة لو صدرت عن اي شخص آخر لكانت اعجبت بها.

في كل مرة تحاول الخروج من الباب، يبدو انه هناك، وأحيانا يكون داخل المنزل يحاول اغضابها بملاحظاته المغيظة. لا تستطيع حتى تجاهله، وهذا كان الشيء الأنسب لتفعله، وفي كل مرة يحاول الكلام، تجد نفسها تتراجع. لماذا لم يخبرها الكولونيل انه سوف يؤجر منزله، تساءلت بحنق؟ من المؤكد ان هذا كان يبدو من باب المجاملة العادية؟ ولكن اي مجاملة اعطتها هي له؟ او لأي شخص آخر؟

تساءلت ببؤس ووضعت سلة الغسيل قرب طاولة الكي. احست بعينيها وقد امتلأت بالدموع.

قال بصوت لطيف بينما كان يفتح الباب الخلفي ببطء:«هذا لن ينفع.»

رفعت رأسها مصدومة وهتفت بارتباك:«انا لم اكن... لم افعل... أوه، لماذا لا تذهب؟»

«انا آسف لم اتوقف لأفكر... هل يزعجك الأمر؟»

«كلا!» ولكنه كان يزعجها. اسمر ذو بنية قوية. لم يكن آسفا على الاطلاق، فكرت بانزعاج، وأمرته بحدة:«وتوقف عن الابتسام لي هكذا! فأنت تتجول داخل وخارج بيتي وكأنك تملك المكان؟ لما لا تقرع الباب مثل اي انسان آخر؟»

سألها بنعومة:«هل تريدينني ان اخرج من جديد؟»

«كلا لا اريدك ان تخرج من جديد!»

«آه، حسناً.»

وتسلل الى الداخل ببطء ونظرة النادم بغباء تظهر على وجهه القوي وابتسم ببطء.

تمتمت:«انا اكرهك.»

بدا سخيفا! فشعره الداكن بدا مبعثراً وغير مرتب، كما انه طويل جدا. كان ضخما، جدا، ومبالغ في كل شيء. لهجته الغريبة تضرب بقسوة على الاعصاب.

وبتنهيدة يائسة حدقت بالعينين العميقتين التي بدت انها لا يفوتها شيء.

عينان تشعرها كلما تنظرا اليها بالغضب والارتباك.

لا يزال يصر على الوقوف قريبا منها او لأن يلقي بيده على ذراعها، ثم يراقبها بسرور وهي تحاول الابتعاد عنه. ومع ذلك كيف يمكن لرجل مثله ان يشعرها انها مهددة الى هذه الدرجة؟ كان هذا سخيفا وغير عقلاني.

سألها بلطف:« ولكن ليس انا فقط، أليس كذلك؟ فعلى ما يبدو انت تكرهين الجميع ولا تعتقدين ان ملاحقة عملك وكأنك الآنسة القوية، يجعلك تنسين انك تنتمين الى العنصر البشري.»

قالت بتأفف بعدما تمكنت اخيرا من ابعاد عينيها عن عينيه الرماديتين الدافئتين:«لا تكن سخيفا، فأنت لا تعرف شيئا عن مهنتي، او أي شيء آخر،

وأتمنى ان ترحل فعلي كي بعض الملابس.» ووقفت وراء طاولة الكي ولم تتوقع ان تجرحها ملاحظته، وقد انغمست سريعا في عملها.

هل كانت في خطر نسيان من تكون؟ تساءلت بكآبة فهي صادقة بما يكفي للاعتراف بأنها اصبحت تفضل البقاء بمفردها ولكن الآنسة القوية، هل هكذا يراها الناس؟ لا يبدو الامر هكذا.

قطبت جبينها وهي تحاول ان ترى نفسها من الناحية الموضوعية، وجه عادي، لا شيء مميز وعيناها أخاذتان قليلا، ربما، لأنهما محاطتان بأهداب داكنة، ولكن شعرها بالتأكيد لا يعطي انطباع التصميم على عدم الشفقة، فهو يتطاير في كل مكان. ربما الطبيعة لا تعكس نظراتها، او ربما بسبب مظهرها المتمرد جعلت من الانسان داخلها لا واعية. ماذا؟ قوية؟ وها انت يا هيلاري، قد عدت الى تلك الكلمة من جديد! وهذه خيبة امل جيدة.

عنفها عقلها، ان هذا لا علاقة له بشكلك، كما تعرفين تماما. ولكن هذه الافكار كانت مزعجة جدا لتفكيرها، لذا حاولت دفعها الى عقلها الباطن. التقطت المكواة، وحاولت التركيز بقوة على عملها وكأن كي ياقة القميص احتاجت لكل تركيزها.

انكرت بعنف:«كلا، ولماذا يجب ان يكون؟ انا لا آبه لما يفكر الناس بي، وخاصة انت.»

«ألا تهتمين الى ان القرويين يعتقدون انه لا يمكن الاقتراب منك؟»

«كلا.» لقد كان هذا ما ارادته، ألم تكن؟ ان تترك لوحدها. ولكن الا يستحقون افضل من هذا؟ لقد كانوا لطفاء معها الى درجة لا تصدق، وهذا ليس من شأنه، فهو لم يكن من القرويين بل مجرد زائر.

دافعت عن نفسها قائلة:«على كل، انا لست كذلك ولكن مكتفية فقط.»

عارضها قائلا:«متعجرفة وكأنك تنظرين الينا بغرور.»

انكرت بشدة:«انا لست كذلك، وأنا لا انظر الى احد بتعال.»

شرح بصبر:«انا لم أقل انك فعلت، قلت انك تبدين كذلك.»

بدأت بالقول:«وكأنني لم اعد انتمي الى العنصر البشري، حسنا، لقد كانت مجرد...» وقطعت كلامها بسرعة وهي تعض شفتها.

سألها بنعومة:«سنة؟»

صفقت المكواة على اللوح، وحدقت فيه قائلة بغضب:«لا اصدق، لقد مضى على وجودك هنا اسبوع فقط، وأصبحت...»

أكمل عنها:«اعرف كل ما يجب ان اعرفه عنك؟

انها قرية صغيرة يا هيلاري، والناس يتكلمون.»
اقرت بمرارة:«تعني يثرثرون!»
اصر قائلا:«حسنا! ثرثرة، ولكن لم تكن بقصد اذيتك، فهم مهتمون بك. نعم، هم كذلك.»
«حسنا، وحتى إذا كانوا كذلك فهذا لا يعطيك الحق بأن تحشر انفك في حياتي!»
اعترف بلطف:«حقا؟»
آه، الرأي، فكرت مهمومة، كيف يمكن ان نتفاهم مع رجل يوافقك رأيك دائما؟
توسلت إليه قائلة:«فقط ارحل، هل يمكن؟ ارجوك؟ اريد فقط ان اترك بسلام، انا احتاج للوقت...»
«لقد اخذت وقتك، كم تحتاجين اكثر؟ فانت لا تستطيعين ارتداء الحزن دائما.»
اجابته مدافعة عن يأسها:«انا لا ارتدي الحزن! وهل يمكن ان تتوقف عن الادعاء بالإهتمام بي؟ والعذر الوحيد لتدخلك غير المباح هو الضجر! وما هو الفظيع في إرادتي البقاء وحيدة؟ وإرادتي في ان اصبح افضل انسانة لا تحب ان تتأذى؟»
«لا شيء، ولكنك في خطر من ان تحولي حياتك الى نموذج فني. فلا تستطيعين ان تمضي بقية حياتك محاولة الفرار من صداقة فاشلة. الحياة تمضي يا هيلاري
«اعرف انها كذلك! وأنا أحياها! او احاول ذلك ولكن

لدي فرصة أكبر للنجاح إذا لم يحاول الناس ان يعرفوا المأساة كلها في العلن، اريد نسيانها وليس إعادة احيائها وإذا ما كنت اشعر بالإنزعاج، اريد ان افهم، لماذا تصر على ملاحقتي؟»
سألها بابتسامة مرحة:«هل باعتقادك لأنني احب تعذيب نفسي؟ ولكن بما انني فتحت الموضوع...»
«آه، والآن ماذا؟ حسناً، هيا استمر؟» وعندما بقي صامتا، اصرت قائلة:«ماذا؟»
«شعرك.» وعندما رفعت هيلاري رأسها بتوسل بدأ يقول:«عليك بتركه منسدلا هكذا دائما، فهذا يجعلك تبدين أجمل أكثر. وعندما ترفعينه الى قمة رأسك يجعلك مثل تلك المرأة من جنوب الباسفيك.»
سألته:«لما لا أضع كيسا فوق رأسي؟ عندها لن ينزعج من مظهري احد.»
وافقها بحماس:«آه، هذه فكرة جيدة.»
ابتسمت هيلاري باشمئزاز:«هذا افضل.»
قال ليو:«والآن تبدين...» اومأ برأسه دون ان يكمل جملته، بل قال:«في الواقع، من الصعب عليك تصديق ذلك، ولكنني اتيت لسبب.» وحرك يده من وراء ظهره، وأظهر وعاءً وسألها قائلا:«سكر؟»
وبتعبير متجهم اومأت انه في الخزانة ثم قالت:«كما تعرف تماما.»

liilas.com

فتح الجزء الاعلى من الخزانة القريبة منه، وأخذ كيس السكر وعبأ الوعاء بانتباه قبل ان يعيد الكيس الى مكانه. وأحنى كتفيه العريضتين على إطار الباب، فجأة حول نظره الى هيلاري.

اخبرها:«اين شقيقتي قادم.»

سألته باستهزاء واضح:«كم هذا لطيف، تحتاج السكر لصنع الحلوى، أليس كذلك؟ وأنا افترض انه لا يوجد لديك طحين ايضا.»

«آه، نعم، عندي طحين يا هيلي.»

«هيلاري. اسمي هيلاري.»

فوافقها بهدوء:«هيلاري.» بصوت ملي، بالمرح تابع:«ولكن، إذا استطعت تدبير القليل من بودرة الكاسترد...؟»

انفجرت بسخط:«الا تشتر أي شيء ابداً؟»

تمتم:«حسنا، نعم.» واستغرق في التفكير وكأنه اخذ سؤالها على محمل الجد، ثم قال:«اشتريت بعض الاشياء.»

صرخت غير قادرة على الصمت:«لا تفعل، لا تعطني لائحة بمشترياتك فلقد كان مجرد سؤال!»

بدت عيناها تعكسان ارتباكها وألمها. وطالبته بيأس:«لا اريدك هنا؟»

اعترف برقة:«اعرف.» حدقت به غير مصدقة.

«إذا لماذا؟ لماذا تفعل بي هذا؟» وحدقت بالعينين

الرماديتين، نسيت كل شيء عن اسباب بقائه هناك. نسيت كل شيء عدا هذا المستفز الذي كان يدمر ببطء ولكن بالتأكيد سلام عقلها، وزفرت:«لماذا؟»

«لأنه...» ونظر بسرعة الى اسفل وبدا انه غير رأيه. ومد يديه بيأس:«فقط بسبب...»

سألته:«لأنك تشفق عليّ؟»

«اشفق عليك؟ كلا! فما استطيع استنتاجه انك تخلصت جيداً من السافل!»

تبا، لقد عرف ذلك! ولكن ان تتخلص منه جيداً وان تنساه امران مختلفان تماما.

ابعدت عينيها، حدقت الى طاولة الكوي، ثم ولأنه لم يكن امامها بديل آخر، بدأت تحرك المكواة على مهل فوق البلوزة، ووجهها ممتعض.

شجعها بلطف:«هيا يا هيلي، اخرجي من قوقعتك قبل ان يفوت الأوان.»

انكرت بتبرم:«انا اريدك فقط ان تذهب يا سيد، حسنا، مهما يكن...»

غمس بضحكته قائلا:«ليو.»

عندما رفعت نظرها متعجبة، وجدته رافعاً إحدى حاجبيه بانتظار ان يصدر منها اي تعليق ساخر، ولكنها لم تفعل. والى جانب ذلك، لم تستطع التفكير بشيء، لو تعلم فقط لماذا هو مصمم الى هذه الدرجة على مواجهة فظاظتها؟ هذا ما ارادت معرفته فقط.

دون ان يقول اي شيء آخر، ارخى منكبيه العريضين على إطار الباب وكأنه قد استقر عليه لبقية اليوم. وفكرت انه ينظر إليها منتظرا اياها ان تتكلم مجددا.

اطبقت شفتيها خائفة ان تتحركان بالرغم منها، ووجدت عندها انها لا تستطيع تحمل هذا الصمت الآن.

استفزته بغطرسة:«إذا لم يكن هناك أي شيء آخر، انا متاكدة انه لديك الكثير من الاعمال اليوم لتقوم بها قبل وصول ابن شقيقتك.»

ارتاب واندهش قائلا:«ابن شقيقتي؟ نعم، ابن شقيقتي.» ولمعت ضحكته في عينيه. وبابتسامة بطيئة اعطت لوجهه سحرا غير معقول حمل الوعاء، ولوح بيد واهنة، ثم استدار على عقبيه الى الحديقة.

اطلقت تنهيدة صغيرة، وأعادت المكواة الى مكانها بيد تهتز. لماذا لا تستطيع ان تتجاهله؟ استغربت بيأس. لم تكن تريد تدخله المستمر بحياتها، ولا معرفته بها. وفصلت الكهرباء عن المكواة بغضب حيث انها شعرت بالتوتر والعصبية ولم تكن ترغب بالاستمرار في الكي. ربما عليها ان تذهب للتنزه. وربما تبحث عن بعض قطع الاخشاب على ضفة النهر، ان كان عليها تكملة بعض لعب الاطفال

خلال فترة الثلاثة اسابيع التي تقضيها بعيداً عن وكالات السفر. وهذه اللعب التي تصنعها هي قطع ناعمة الملمس من الخشب وصغيرة منحوتة بلطف وتطليها بنفسها لتمسك براحة اليد بسهولة، والتي كانت لدهشتها وسرورها قبلتها مستشفى إعادة التأهيل الكبيرة الخاصة بالمكفوفين والمختلين عقليا.

فلطالما استمتعت هيلاري بالعمل اليدوي وحصلت على اكتفاء كبير من تشكيل اي مادة تقع بين يديها، من خشب او صلصال او طين. وبالصدفة استعملت خشب الصناديق وخشب الورد اللذين يسهلان العمل اكثر من أي نوع آخر من الخشب او الحجارة.

ولقد تحولت هذه السعادة البسيطة التي ساعدتها في ابعاد تفكيرها عن مشاكلها، الى طريق طويل يساعدها في إعادة شتات كبرياؤها المجروحة الآن. فكرت هيلاري مفيدة للمجتمع، ولو بطريقة بسيطة، كان سند رائع لتدعيم ثقتها بنفسها.

وأبعدت ليو المزعج عن تفكيرها. صعدت بخفة الى الطابق الأعلى لتجلب سترة سميكة من الصوف وتنتعل حذاء ثقيلا قبل ان تمضي الى حقل المستنقعات وراء البيت في اتجاه ضفة النهر.

وبينما هي تنتحول على مهل وعينيها على الماء العكر،

رأت فجأة جذعاً ثقيلاً بدا وكأنه من البلوط. التقطت بعض الجذوع لتتمسك بها وانحنت بانتباه لالتقاط ذلك الجذع. وما ان لمسته حتى انزلقت احدى قدميها وأفقدتها توازنها. ومن دون سابق انذار تعثرت ووقعت في الماء الموحلة.

بتعبير قرف دفعت نفسها على ركبتيها ورمت بذلك الجذع أبعد ما استطاعت غاضبة من غبائها. وزحفت الى الامام لأن ذلك كان افضل من محاولة الوقوف على قدميها، وبعينيها الجزعتين رأت قدمين.

رفعت رأسها الى الاعلى لترى ليو واقفا يمد يده إليها، تراجعت ثم تمتمت بالشكر وقالت له:«إذا ما تجرأت على الضحك سوف اقتلك.»

ابتسم لها ورفعها الى حافة النهر. حاولت الوقوف بوهن على قدم واحدة، بينما حاولت البحث عن فردة حذائها الاخرى. ولم يكن باستطاعتها سوى مراقبتها وهي تغوص على مهل.

رائع. فهي تشعر بالغباء والبؤس ومبتلة تماماً. فسترتها الصوفية تزن عشرة اضعاف وزنها بسبب ثقل المياه، وحدقت امامها بليو يساعدها بطريقة رائعة للعودة الى اليابسة.

لماذا، لماذا يجب ان يكون هو من يجدها؟ وحدقت براحتي يديها الملطختين بالوحل، فأدركت في الحال كيف تبدو وأخذت تقهقه.

أدارت رأسها وحدقت مباشرة بعيني ليو. لم تكن تعي كم بدت رائعة، ولكن تدريجيا عندما لاحظت عدم استجابته، عادت لوعيها. وبدت عينيها مهمومتين من جديد. نظرت للبعيد مذهولة بسبب شعورها بالأذى وصرخت عندما رفعها عاليا بين يديه القويتين:«انزلني.»

قال:«لا تكوني طفلة يا هيلاري، فأنت لا تستطيعين السير بحذاء واحد.»

«طبعا استطيع.»

توقف محدقا بوجهها الثائر، وعينيه الرماديتين هادئتين، وشرح لها بصبر:«ليس فقط بحقل مليء بالزجاج المكسور والحاد، بل صخور ايضا، ومن يدري ماذا هناك ايضا، هل تريدين ان تجرحي قدمك؟»

«طبعا لا، ولكن...»

«ولكنك لا تحبين ان ألمسك، انا اعرف.»

بسرعة احنت رأسها ناظرة الى الاسفل. إذاً فهو يعرف انها تكرهه. وهل يعرف ايضا لماذا؟ وأن الشعور بيديه القويتين يجعلها صغيرة؟ احست بالاحراج من الرائحة الكريهة التي تنبعث من ثيابها وأغلقت عينيها بانهزام. وفي تعاستها لم تلاحظ الى أين يأخذها، الى ان وصلا الى عتبة باب بيته الخلفية.

عندما توقف وأنزلها برفق تمتمت بسرعة:«شكراً لك، استطيع السير بسهولة الى المنزل من هنا.»
لم يوافقها قائلا:«لا تكوني سخيفة، سوف تموتين فليس عندك مياه ساخنة.» وقبل ان تستطيع ايقافه فتح الباب الخلفي ودفعها الى الداخل ونزع حذاؤه الوسخ، ثم اتجه ناحية حمالة المناشف البعيدة في المطبخ القديم الطراز.
عاد بمنشفة كبيرة وبسطها على الارض، ثم قال:«لا داعي للقلق من ان تحدثي فوضى. اخلعي حذاءك وقفي على المنشفة.»
احتدت قائلة:«لم أكن...» ولكنها وجدت نفسها تتكلم من دون فائدة إذ انحنى على الارض ونزع حذاءها. كانت مذعورة الى درجة انها وقفت كالبلهاء، وبعدها، وضع منشفة في يدها وكانت بمنتصف الطريق الى البهو.
قال لها برزانة:«غرفة الاستحمام في الاعلى. لا تتأخري. سوف احضر الشاي.» وبدفعة صغيرة اخرى اغلق باب المطبخ وراءها.
لم تكن تملك أي خيار، وفكرت باكتئاب وللحظة، في ذلك الحقل حيث شعرت بنفسها على حقيقتها كما كانت من قبل، الانسانة التي كانت قبل ان يدخل ريان الى حياتها. هل سيتأذى ليو لو شاركها بضحكها؟ ربما ابتسم؟ ولكن للحظة في المطبخ

ظنت بانها اخذت انطباعاً بالسرور مرسوماً على وجهه، وكأن هناك شيئاً ابهجه، ولكن لماذا عليه ان يفعل؟
شعرت بالحنق من نفسها لأنها حاولت تحليل سلوكه.
عندما وصلت الى اسفل السلم ترددت غير متأكدة للحظة، ولكن بعد هزة من رأسها تقدم ناحية النار الموقدة حيث كان ليو يجلس قبالتها. وشعرت بانطباع القوة، نوع من الغطرسة اللاواعية التي تبدو واضحة عليه فقط عندما يدير رأسه. ونظرت بسرعة بعيداً عندما منحها ابتسامة صغيرة مرحة.
قال:«تبدين مثل علبة طفل صغير.»
قالت مقطبة الجبين:«علبة طفل؟ شكراً. مع انني افترض انه علي ان اشكرك لانك لم تشبهني بالكيوي.»
«انها من نيوزيلندا.»
«انا اعرف من أين هي يا ليو! لا احتاج الى درس بالجغرافيا.»
أثارها قائلاً:«لست كذلك؟ حسناً، ولكنني اردت ان أشير انني بالكاد استطيع تشبيهك الى طير او حيوان من نيوزيلندا عندما اكون من استراليا.»
ردت بتقطيب:«استرالي؟ ولكن في محل سيد جوردن ذكروا انك من اوكلاند.»

اعتذر بخفة:«حسناً، انا آسف.» وعيناه تلمعان بمرح «ولكنني قطعاً استرالي، هل يهم ذلك؟ ألا تحبين النيوزلنديين؟ هل هذا هو سبب عدم شعورك بالتعاطف معي؟»

سألته وتقطيبتها تزيد على وجهها:«ماذا؟ كلا، طبعاً لا! لا تكن سخيفاً! فقط لم اكن اعرف. هذا كل شيء.» ولكنه كان يهم، آه، لماذا كل مرة تكون مع هذا الرجل تفقد صوابها؟ ولكنه إذا كان استرالياً...

أشار اليها قاطعاً حبل افكارها:«تعالي واجلسي قرب النار لتتدفئي.»

بتنهيدة مهزومة ذهبت لتجلس على المقعد الجلدي المواجه للمدفأة.

سألها بهدوء:«كم يوم بقي من اجازتك؟»

تمتمت من دون ان تنظر إليه:«أقل من اسبوعين.» وتساءلت بتشكك لماذا اراد ان يعرف، ادارت رأسها وسألته:«لماذا؟»

«لا يوجد سبب معين، مجرد فضول، اوه هيلي،هل من الصعب جداً التكلم معي؟»

احمر وجهها لشعورها بالذنب. اعطته اعتذاراً هادئاً:«انا آسفة. لقد تخليت عن عادة التكلم مع الناس.»

فشجعها بلطف:«إذاً هذه فرصة لكي تتخلي عن

هذا الامر.» وتابع بنفس الصوت الهادئ:«إذاً، سوف تعودين الى العمل في خلال اسبوعين او نحو ذلك، وبعدها الى أين؟»

سألته باندهاش:«ماذا؟»

«لقد قال الكولونيل انك تعملين بوكالة سفر كمعاونة في الاماكن الاجنبية اني اتساءل فقط الى أين ستذهبين بعد ذلك.»

«أوه.» لقد وثقت بالكولونيل لتعطيه كل تفاصيل حياتها، ويقولون ان النساء تثرثر! «لست متأكدة تماماً، روما كما اعتقد، فالوكالة تفكر بالبدء برحلات ثقافية – روما، أثينا، وعلي ان أدقق في الفنادق، وتسهيلات الرحلات فالايطاليين يحبون إدارة رحلاتهم الخاصة مثل دكان صغير.

لذا انا بحاجة لإيجاد مستخدم يريد ان يأخذ سياحاً اكثر. ومن الظاهر انها تزدحم في منطقة مدرج روما الاثري الكولوسيوم.» وعندما ضحك استدارت وابتسمت.

«حسناً، طالما انه لن يرميك احد للأسود.»

وافقته قائلة:«كلا.»

تابع بهدوء:«وبعدها الى اثينا؟»

«ربما، لست متأكدة بعد – فالأمر مازال مجرد تجربة فقط ولقد طلبوا مني ذلك لأنني اعرف روما جيداً، اما أثينا، فلا اعرفها بتاتاً.»

liilas.com

قال لها:«انها حقاً تستحق الزيارة ولكن ليس في منتصف فصل الصيف فهي حارة جدا.»

«ومختلفة عن استراليا؟» وقد تورد خداها عندما نظر اليها نظرة فضول.

«الحرارة في استراليا أعلى. سوف اذهب لأسكب الشاي، هل تريدين سكر؟»

«قطعتان، لو سمحت.» ونظرت إليه، وقد ارادت ان تغيظه بسبب السكر الذي استعاره قبلا، ولكن لو فعلت ذلك فسوف يكون نوع من الاعتراف بأنه كان محقا بشأن سلوكها. وبابتسامة صغيرة اثبتت انه عرف تماما بماذا تفكر.

خرج من قاعة الجلوس، فأخذت توبخ نفسها وطالبتها بأن تكون اكثر عفوية، ولكن مضى وقت طويل منذ ان تحادثت مع احد ما، وهي الآن تشعر بالضعف والوهن منذ ان تكلمت، وضحكت، واغاظته، وسألته من اين يأتي وماذا يفعل. والآن وجدت انه من الصعب جمع طاقاتها للهرب، لقد ارادت فقط ان تفر الى بيتها. ولوحدة وجودها. وعندما عاد، حاملا فنجانين، اخذت فنجانها بطريقة آلية وحدقت في السائل.

سألها بهدوء عندما جلس على المقعد ممسكا بفنجانه بين راحتيه الكبيرتين:«والديك وشقيقك في استراليا، اليس كذلك؟»

شعرت برجفة الخشية تسري في عروقها، حدقت به، هل هذا هو اللغز في الامر؟ هل هذا ما كان يسعى إليه طوال الاسبوع؟ ولكن مع ذلك كان وجهه يحمل تعبير فضول المعرفة.

اعترفت بصراحة:«لقد انتقلوا منذ حوالي السنة، عندما ذهبوا الى زفاف شقيقتي مارتن وقرروا البقاء هناك.» ولو انها لم تقابل ريان، ريان ذو الابتسامة الحلوة، ريان الطبيب، وربما لكانت معهم الآن.

سألته بتشكك:«لماذا اردت ان تعرف؟»

قال وهو يرتشف الشاي:«لا يوجد سبب.» وكانت عيناه تراقبانها بانتباه من فوق حافة فنجان وتابع:«مجرد فضول، احدهم ذكر ذلك، هل هذا كل شيء؟»

سألته:«من؟ الكولونيل من جديد؟»

نكر بلطف:«لا أذكر. ولكن إلى أي قسم ذهبوا؟»

قالت بعدم اكتراث:«الشمالي الغربي، طريق بورت هيلاند. لماذا؟ هل تعرف المنطقة؟»

تمتم بلا مبالاة ظاهرة:«سمعت عنها، هل تريدين المزيد من الشاي؟»

اجابت:«كلا، شكرا لك.»

قال ليو:«لقد جف شعرك.»

هل انها تعاني من هوس الاضطهاد؟ استراليا

مكان كبير. وليس هناك من سبب حقيقي لافتراض انه يعرف عائلتها. لكن مع ذلك، لماذا لديها انطباع ان هناك يد خفية تديرها؟

«لكن حذاءك لا يزال مبتلا...»

«حسنا، لا يهم، انها مجرد بضع باردات وأصل الى المنزل.»

قال برقة:«ولكن لا يوجد حاجة للازعاج إذا كان باستطاعتك تجنبها. سوف اخرج السيارة.»

كانت لا تزال تحدق فيه حين سألته فجأة:«هل تعرف عائلتي؟»

سألها:«اعرفهم؟» وتقوس حاجباه باستغراب:«لماذا عليّ ان اعرفهم؟»

تنهدت قائلة:«لا اعرف.»

سألها بلطف:«انت مشتاقة إليهم، الست كذلك؟»

فأومأت بتعاسة.

«إذا لماذا لا تذهبين لزيارتهم؟»

اجابت مدافعة:«سافعل.» في يوم ما، حين تملك مالا كافيا. والحقيقة انه لم يكن باستطاعتها الذهاب الى لندن فكيف الى استراليا؟

تابع بقصد:«هل يعرفون عن ريان؟ وانه قد احبك وهجرك آخذا معه كل مدخراتك؟»

حدقت فيه مذعورة وانفجرت قائلة:«لقد كان الكولونيل مشغولا بالثرثرة أليس كذلك؟ هل تقوم

القرية كلها بإخبار اي غريب يأتي الى هنا كل شيء عني؟ ويذكرونني ويأتني شيء مستهجن.»

امتلأت عيناها بالدموع، وانتفضت مبتعدة عندما حاول وضع يده بلطف على كتفها قائلة:«اريد ان اذهب الى البيت!»

الفصل الثاني

عند وصول هيلاري الى الباب الخارجي سألها ليو بهدوء:«جاهزة؟»

«نعم، هل نذهب؟»

رافقها الى الخارج بعد ان جال ببصره عليها وساعدها بالدخول الى سيارة اللاند روفر.

غرقت هيلاري في المقعد، وحدقت من خلال الزجاج، وأفكارها عند عائلتها البعيدة. لقد جعل ليو الأمر سهلا. اذهبي، ولكن كيف لها ذلك؟ كيف لها ان تعترف انهم كانوا محقين بشأن ريان؟ وأنه لم يكتف بسرقة مدخراتها، ولكن المال الذي ورثته عن عمتها جاين؟ لقد كانوا قلقين بشدة عليها، ولكن ما الذي يستطيعون فعله وهم بعيدين آلاف الأميال عنها، لو انها اعترفت في البداية لما كان الأمر بهذا السوء الآن، ولكن كيف يمكن ان تخبرهم الآن؟ بعد مضي حوالي السنة؟

قال ليو حين انسل الى داخل السيارة بجانبها:«المكالمة الهاتفية هي كل ما يلزم يا هيلاري.» وتابع ويداه مرتاحتان على مقود السيارة ووجهه مستدير ناحيتها:«او ربما رسالة.»

ماتعت بفظاظة:«كلا.»

«لماذا؟ اني لا استطيع ان افهم لماذا تشعرين بالخجل عندما تكونين انت الضحية البريئة...»

نكرت بحدة:«انا لا اشعر بالخجل، فقط لا اريد ان اتكلم عن هذا الأمر.»

«هل المال هو السبب؟ او انه توقف عن حبك؟»

انفجرت غاضبة وقالت:«لم يتوقف عن حبي ابداً لانه لم يحبني قط ربما لو احبني لكان الامر اسهل علي لاحتماله، وسبب دعوته لي للخروج معه، يا عزيزي ليو، انه سمع بعض الفتيات في الوكالة يتكلمن عن المال الذي تركته لي عمتي جاين. اليس هذا رائعا؟ ألم أكن محظوظة؟»

سألها محتارا:«اين سمع بهذا؟»

اجابته قائلة:«في المقهى قرب الزاوية القريبة من المكتب. هل تعرف؟ أراهن ان نصف جرائم السطو والقتل تبدأ في تلك الامكنة، في المقاهي. الناس يسمعون المناقشات، ماذا اشترى الناس، والمال الذي يحوزتهم، والناس متهورين جدا! كل ما كان عليه فعله هو تعقبهم الى الوكالة، ويدخل كمن يريد حجز بطاقة لقضاء العطلة، وهناك كانت هيلاري المغفلة جاهزة وبانتظار الوقوع في الحب، هيستيري، هه؟»

قال لها:«كلا يا هيلاري، ليس هيستيرياً على الاطلاق. تابعي.»

سألته بمرارة وهي تحدق بالزجاج المبقع بالطين امامها:«اتابع؟» وتساءلت بعنف:«كيف استطعت ان اترك السافل يوقعني في غرامه؟ كيف اخذت بكلامه؟»

«لأنه ذكي. هل تعتقدين انك الوحيدة التي تخدع من قبل المحترفين؟»

«كلا، بالطبع لست كذلك، ولكن، اوه يا ليو، لقد كان طيبا جدا! دعاني للخروج، وكنت اكثر من ممتنة للقبول. طويل، اسمر البشرة، ذو شعر ذهبي، عيناه مليئتان بالصدق والمرح وقد فكرت انه رجل دافيء وكريم. وهكذا كان، ولكن على حساب الآخرين. وقد عارضني بشدة لأنني رفضت فكرة الخطوبة بعد فترة قصيرة من تعارفنا. وهوّن علي مخاوفي من ترك اهلي. فقد قال اننا نستطيع ان نوفر المال ونذهب لزيارتهم. وهكذا ارتبطنا وسافر اهلي الى استراليا، وقد رأى بيتا صغيرا نستطيع شراءه وهو ليس بعيدا عن مربط قاربه.»

قالت هذا باحتقار مع قليل من الاشمئزاز. وتابعت:«لقد كان يستأجره، وطبيعي انه لم يكن يملك المال لشرائه. اوه، قلت له بسرور استعمل مالي الخاص. وهذا ما قام به طبعا وقد سجل العقار باسمه. وهكذا عندما باعه من دون ان اعلم، لم استطع فعل شيء. لقد كان الأمر قانونيا تماما.

وبعدما قمت بمتابعة ما بدأت به بغباء فلقد اثثت ذلك المكان وانتقلت إليه.»

استنتج ليو بهدوء:«وعندما عدت من الرحلة التي اخذت بها مجموعة سياح حول باريس، وجدت المنزل قد دمر.»

«نعم.»

سألها بهدوء:«كيف؟»

استغربت سؤاله وقالت:«كيف. ماذا تعني بـ كيف؟»

«حسنا، ليس من السهل هدم عقار.»

انفجرت قائلة:«ولكن ليس عندما يكون غير آمن.»

أصر قائلا:«وهل كان كذلك؟»

وبحركة غاضبة من يدها قالت بحدة:«وكيف لي ان اعلم.»

مالت الى الوراء وقالت بهدوء اكثر:«لم يبد غير آمن، ولكنه قام بتخطيط المكان، وحتى لو لم يكن المخطط موافقا معه، كتب التقرير من أجل ذلك. ولهذا لم نستطع ان نأخذ رهن عقاري او هكذا قال، وبإحساس داخلي. بدأت اقلق. ولكن مع ذلك كلف اكثر بقليل من ثمن الارض. مساومة حقيقية. وهكذا إذا ما اعدنا بناءه بأسلوب افخم نستطيع ان نكسب الكثير عندما نبيعه. مع انه كيف لنا ان نعيد بناؤه، لم يكن لدي الكثير عندما نبيعه. مع

انه كيف لنا ان نعيد بناؤه، لم يكن لدي أي فكرة، ولكنني كنت كلما استوضحت شيئا كان يضحك فقط ويقول: دعي الأمر لي.»

«وهذا طبعا، ما قمت به، لأنك وثقت به.»

«نعم.»

«إذا لم تتفاجئي تماماً عندما وجدت الأمر كله قد ذهب؟»

قالت:«كلا، اعتقد انني لم اتفاجىء ليس في البداية. كنت فقط منزعجة من قيامه بذلك بينما انا بعيدة، وافترضت انه وجد لنا مكانا آخر نعيش فيه بينما يتم إعادة بناء منزلنا. ولم آخذ وقتا طويلا لاكتشف عكس ذلك. لم يكن هناك من مكان اقامة آخر. ولا يوجد اي أثر لريان، لم اكن املك أي مال، ولا ملابس، او مقتنيات، لا شيء. وقد قدمت شركة تتولى تصفيات المنازل بتنظيف المكان قبل هدمه. والشرطة كانت لطيفة معي، ومتعاطفة، حتى ولو انهم لم يقولوا ذلك. ولكن كان من الواضح انهم فكروا بذلك مغفلة. أوه، بدا الامر ظاهرا عليهم. ورغم كل ذلك، كان قد سرق اغراضي. ولكن هل كنت لأقاضي... حبيبي؟ ولو لم يعطني الكولونيل هذا البيت مقابل أجرة ضئيلة، فمن يعلم اين كنت الآن.»

«وكيف تدخل الكولونيل بهذا الأمر؟»

أجابته:«عندما عدت ووجدت ان المنزل قد هدم، كنت مذهولة وبائسة. فسألت عن الأمر في القرية. وانتشرت القصة الحزينة في القرية. وقد ارسل بطلبي الكولونيل وها انذا.»

«هكذا كتبت لعائلتك، مدعية ان كل شيء على ما يرام؟ ألم يندهشوا لمَ لم تتزوجي من ريان ابدا؟»

قالت:«طبعا اندهشوا.» واعلمته أنه لم تنوه عنه في رسائلها الاخيرة.

عندما قام ليو بحركة صغيرة، عادت فجأة الى الحاضر وأحست بهلع من انها افرغت كل ما في قلبها لهذا الجار الغريب، وقالت بصوت هامس وهي تعض شفتها:«هل نذهب الآن؟» وكرد على سؤالها ادار المحرك وأوصلها بسرعة وهدوء الى بيتها.

تمتمت هيلاري بغير اكتراث:«شكراً.» التقطت حذاءها المبلل وركضت الى الداخل، وأغلقت الباب بسرعة خلفها ثم استندت نفسها عليه، وأحست بالدموع تفيض في عينيها. صعدت الى غرفة نومها مهمومة. جلست على حافة السرير ورأسها بين يديها. وقد جلب حديثها مع ليو كل الذكريات من جديد. الألم، اليأس، والانفصال المؤلم مع عائلتها وكل هذا بسبب ريان.

فمنذ المرة الأولى التي رافقها لمقابلة اهلها احست

انه لم يعجبهم. لقد كانوا مهذبين، ورحبوا به، ولكن لم يثقوا به. وريان لم يحبهم ايضا. والدتها لم تدعوه باسمه، كان هذا التصرف يدل على انها لا تحب ذلك الشخص، زوج والدتها مايك، كان الشخص المحبب ولكن حتى هو عامل ريان بجفاء تقريبا.

وإذا كتبت لهم الآن لتخبرهم انهما انفصلا، فسيتوقعون عودتها الى استراليا، وكيف لها ذلك وهي من دون مال؟ لم تخسر فقط مدخراتها بل وحتى ثروة عمتها جاين، والمال الذي وضعه مايك في يدها كهدية زواج مبكرة... لو استطاعت الاعتراف بغلطتها في البداية لكان الأمر سهلا، ولكن كلما مضى الوقت اصبح الأمر اصعب.

ابعدت الذكريات والألم بعيدا ونهضت بتثاقل ثم ارتدت بنطالا من الجينز الناعم مع بلوزة. ازاحت شعرها الى الوراء بقسوة وربطته بشريط. وحدقت بوجهها الشاحب بمرآة الحمام. استعادت صورة عائلتها. وتساءلت هل ما زالت والدتها نحيلة؟ او هل بدأت تكسب بعض الزيادة في وزنها! وهل اصبح شعرها الأسود الناعم رماديا؟ ومايك، هل ما زال طيبا ولطيفا؟ وشقيقها مارتن؟ هل هو سعيد حقا بزواجه من تلك الفتاة الاسترالية؟

بتنهيدة طويلة وتعيسة، حملت هيلاري الثياب التي

استبدلتها واتجهت بها الى الاسفل. عندما دخلت الى المطبخ ترددت مذعورة كان ليو يجلس الى طاولة المطبخ، وحجمه الكبير يظهر صغر الكرسي الخشبي الذي يجلس عليه، وذراعاه مطويتان على صدره الضخم.

اغلقت عينيها بانهزام، اندفعت نحو الباب قائلة:«والآن ماذا؟»

تراجع الى الخلف فاهتزت الكرسي تحته، وكان يحمل ساعتها يلوح بها، فرمت ثيابها المتسخة على الأرض ومشت باتجاهه لتأخذها، الا انه ابعدها عن متناول يدها فصاحت به:«انا لست في مزاج للعب يا ليو، فإما ان تعطيني اياها او لا.»

بابتسامة بطيئة اعادها إليها فانتزعتها من يده، وتمتمت بدون امتنان:«شكرا لك.»

«بكل سرور، اعتقدت انك ربما تحتاجينها، او تفتقدينها إذا كانت ثمينة، او إذا كانت ذات قيمة معنوية.»

نظرت إليه بحدة وأدارت له ظهرها لقد كانت بالنسبة لها قيمة خاصة. فلقد اهدتها والدتها هذه الساعة عندما بلغت الحادية والعشرين.

ابتعدت عنه ووضعت الساعة على الرف فوق حوض الغسيل، وانحنت بعد ذلك لتضع ثيابها في الغسالة. فإذا كان غليظا الى درجة انه لا يعرف

متى لا يكون مرغوباً به فتلك هي مشكلته. وإذا حاولت ان تطرده فإن صراعا مذلا سوف ينتج عن ذلك وهي لا تريد ان تعطيه هذا الاكتفاء. وعضت شفتها بقسوة لتمنع نفسها من الصراخ في وجهه ليخرج من بيتها.

ألهت نفسها بالتفتيش عن مسحوق الغسيل بسبب عصبيتها اوقعت العلبة على الأرض وانتشر المسحوق في كل مكان.

صاحت بغضب:«والآن انظر ماذا جعلتني افعل.»

وبعد ذلك اخذت تنظر إليه بتعجب عندما نهض ليو بكسل، وأمسك بكتفيها يبعدها عن المكان. وقد شعرت بشيء من الانزعاج وهو يحملها بسهولة فوق الارض، وعيناه مثبتتان عليها وابتسامته الخفيفة مرتسمة على وجهه، فانتاب هيلاري شعور غريب.

ولسبب لم تستطع تفسيره، وجدت انه من الصعب عليها ابعاد عينيها عنه. همست من خلال شفتين جافتين:«انزلني.» ولكن فقط بعدما بدا وكأن دهرا قد مر قام بانزالها.

سألها بهدوء:«هل لديك مكنسة ومقحفة؟» وبعد ذلك كشر تكشيرة صغيرة ساخرة لم تستطع تفسيرها. بدا انه يتمتع بذلك تماما، الامر الذي جعلها تشعر بالخشية والحذر منه وكأنه يلعب لعبة الانتظار.

قالت له بغباء عندما تذكرت فجأة وبدون سابق انذار كلماته عن ابن شقيقته:«اين هو ابن شقيقتك؟ لقد قلت انه سيأتي لتناول الشاي.»

تمتم:«بالطبع، ولكن وقت الشاي لم يحن بعد.»

سألته بذهول:«ألم يحن بعد؟»

«كلا، سيكونان هنا عمّا قريب، كما اتوقع.»

سألته بحدة:«سيكونان؟»

«سيأتي مع والدته، شقيقتي، فهي تزوجت من رجل انكليزي، وهم يعيشون في النرويج.»

غمغمت بصوت بالكاد مسموع:«استطيع فعل ذلك.» ونظرت بوهن الى الخزانة تحت حوض الغسيل، وخطت الى الخلف عندما انحنى لالتقاط المقحفة والمكنسة.

تمتم بصوت ساخر:«ولكنها غلطتي، انت قلت ذلك.»

بينما كانت تحدّق فيه وهو يقوم بتنظيف المكان دهشت من احساسها بأنه يناورها. لقد كان حوارا غبيا والكلمات بحد ذاتها لا تعني شيئا، ولكن ما بالها ترتجف هكذا إذا.

نظرت إليه بخشية، وتراجعت لتستند الى الحائط، غاضبة من نفسها بسبب ردة فعلها. وأخذت تراقب قيامه بالعمل واعترفت بينها وبين نفسها بأنه حقا رجل رائع. لكنها لا تريد ان تخطىء مرتين

liilas.com

وبنفس الطريقة، فكرت بذلك وهي تبتسم بسخرية. انها ما زالت تشعر بالضعف والحذر، وليس قبل وقت طويل يمكنها الوثوق بغريب من جديد. رجال مثل ريان، وممثل مثل ليو، لهم اختيارهم الخاص بالنساء، مما يدل على مدى غبائها لدرجة انها صدقت ريان، فالرجال مثل هؤلاء لا يصادقون فتيات امثالها. لم تكن ذا جمال آخاذ، وقوامها ليس كقوام عارضة ازياء. كل ما كان لديها هو بعض المال.

والآن لا تملك شيئاً منه، فقط بعض الذكريات المريرة. إذا ما الذي يريده ليو؟ او ربما، كما احست من قبل، ان ما يقوم به كان ناتج عن اصابته بالملل والضجر. ولكن مع ذلك بدا من عينيه الرماديتين بأنه على معرفة بكثير من الامور.

عندما وضع ليو المكنسة والمقحفة بيديها، اجفلت، فقد انتشلها من افكارها. وبدت عيناها داكنتين وهي تحدق فيه.

تمكنت من القول: «شكراً لك.»

بينما كان يعيد نظراته الى وجهها المضطرب، قال لها: «انا لا اؤذي يا هيلاري.» وجاء تعبير وجهه غير مفهوم اطلاقا.

كل ما استطاعت قوله بهمس: «كلا.»

نظر إليها للحظة طويلة، وبعد ذلك بابتسامة مرحة

اخرى تمتم بلطف قبل إن يخرج: «اعتني بنفسك.»

احست انها ترتعش كليا، وأخذت تحدق في الاتجاه الذي خرج منه، والمكنسة والمقحمة ما زالت تحملهما بيديها بغباء. كانت مشوشة الفكر كليا، خالية من أي حسّ او شعور، وعندما استدارت بسرعة انتشر المسحوق الأبيض من جديد على الأرض، فقد اخذته لترميه في برميل النفايات. هل اراد ليو تقبيلها؟ لكن لماذا؟ لماذا؟ لقد كانت تعامله بقسوة كريهة منذ ان التقيا وأساءت الى حسن ضيافته... لقد كان الجنون يعينه. والجنون الاكبر، هو وقوفها هنا تستغرق في احلام اليقظة. لقد كانت تتوق للسلام والهدوء لكي تستطيع المضي بأعمال النحت خاصتها.

صنعت لنفسها سندويش وفنجان شاي وأخذتهما الى غرفة عملها. فتحت الباب، ووضعت وجبتها على المقعد لترتدي ثوب العمل، وتهيأت لتبدأ بلمس الأشكال التي نحتتها قبلا لكن ومع أنها كانت تقوم بشيء تحبه كثيرا، لم تستطع ان تمحو ذكرياتها. ريان، بوسامته، ومرحه، وعيناه الزرقاوان الرائعتان، وبشعره الأشقر الذهبي والأمر الذي كانت تخشاه كثيرا، هو انه لو عاد غدا، لا تعتقد انها ستكون منيعة ومحصنة بالرغم من كل ما فعله معها. ارادت ان تكرهه، ومن ناحية ما تمكنت من

ذلك ولكن من ناحية اخرى كانت ما زالت تريده، وبدا هذا اسوأ عمل ممكن القيام به، وهو الرغبة برجل يعتبر الحقارة ذاتها.

فكرت بيأس:«آه، يا والدتي، لما كان عليك الانتقال؟»

لقد كانتا تتبادلان الرسائل الرسمية، كلمات لا عاطفة فيها خلت من كل ذلك الدفء الذي تقاسمتاه لوقت طويل، فالأمر لا يتعلق فقط بالكلمات القاسية التي تبادلتاها حول ريان، ولكن هيلاري كانت تجد صعوبة في ان تكتب لها عن سبب الكذبة التي تمثلها، ومايك، كان دائما طيبا معها، يمازحها، ويجعلها تشعر بأنها مميزة وكأنه يحاول التعويض عن حنان والدها الحقيقي الذي مات وهي طفلة. لم يرد ان يشعرها بأنها منبوذة عندما ولد مارتن، وفي الواقع لم تشعر بذلك.

إذا لماذا لا تستطيع اخبارهم؟ ربما سيتفهمون الأمر، هي تعلم انهم سيفعلون ذلك. لكن كبرياءها كان يمنعها. لم يكتف ريان بتحطيم قلبها وثقتها بنفسها، ولكنه حولها الى جبانة ايضا.

حين اخذت تعمل ببطء، اصبحت منغمسة اكثر بما تفعله وتلاشت الذكريات واختفت. ابتعدت افكارها عن ريان وعن عائلتها ولم تعد تشعر بمرور الوقت. كان هناك دقات الساعة القديمة في الزاوية لتكسر

الصمت. انها هدية من الكولونيل، لكي ترافقها في وحدتها، وقد أصر على ذلك بابتسامته اللطيفة.

كانت رائحة الخشب افضل بالنسبة لها من أي عطر آخر، تملأ الهواء بينما تعمل عليه برضى وسعادة وكانت شمس الأصيل، تتسلل عبر النافذة المنخفضة، تسطع فوق شعرها وتعطي لمعانا لمجموعة الأدوات الموجودة على المقعد الخشبي.

بدت الغرفة صغيرة، ولكن الشعور بالهدوء الذي تمنحه هذه الغرفة تبهجها وتدفئها. للمرة الأولى منذ عدة ايام شعرت هيلاري بالسلام، وكان الألم والأذى قد دفعا جانبا لفترة.

ان الصوت الخافت، جعلها ترتعب وتنظر الى الأعلى، فاتسعت عيناها وهي تحدّق بليو باستغراب.

اسرع يعتذر بلطف:«أسف، اعلم انني متطفل، لقد قرعت الباب، لكنني لم اسمع الجواب، أسف.» ابتسامته كانت رقيقة الى درجة ان الكلمات الغاضبة التي كانت على وشك النطق بها علقت في حنجرتها.

«لقد انقذت فردة الحذاء الاخرى خاصتك.» اضاف وهو يلوّح بها.

عندما لم تجب، واستمرت بالتحديق به بغباء، تابع قائلا:«إذا وعدت بأن اكون هادئا كالفأر، هل استطيع ان ابقى وأراقبك وأنت تعملين؟»

سألته بصوت أبح وهي تنظر إليه:«مثل الفار؟»
استفهم متجهما:«مثل الفيل اذن. ولكن إذا وعدت ان ابقى هادئا جدا، هل استطيع ان ابقى؟»
لم تعرف كيف يمكنها الرفض دون ان تظهر قلة الأدب، فحوّلت نظرها الى قطعة الخشب التي كانت تعمل عليها، ولكنها شعرت به يجلس في زاوية الغرفة على المقعد الخشبي وذهلت عندما التقط احدى القطع المنحوتة المنتهية.
اختلست النظر إليها بطرف عينيها وهو يطبق بأصابعه عليها، كانت سعيدة ومستغربة في نفس الوقت من تعابير الدهشة التي ارتسمت على وجهه.
عندما نظر إليها بعينين ناعستين، جاء صوته وكأنه غير مصدق، وعبّر عن ذلك قائلا:«كأنها طبيعية تقريبا.»
اشارت بهدوء:«نعم، اغمض عينيك.» وعندما اطاعها اضافت:«اشعر بها، حركها بيدك، ودع اصابعك تقرأها.»
بينما كان يطيعها دون تردد، اخذت تراقبه وتدقق في ملامح وجهه لأول مرة منذ معرفتهما. وحاولت ان تفهم ما الذي يشدها إليه احيانا. كان التركيز باديا على تعابير وجهه، ولم يشكل بالنسبة اليها أي خطر على الاطلاق. كان يتمتع بملامح وجه

قوية، عقدت جبينها قليلاً، فبدا وجهها مفكراً. ثم حوّلت عينيها الى يدي ليو وهما تكتشفان معالم المنحوتة البيضاوية الشكل.
سألته بهدوء عندما نظر إليها بفضول:«بماذا تفكر؟»
قال بازدراء:«هولندا. نعم هولندا، فمع اشعة الشمس التي تسطع على شعرك فتكسبه حمرة متوهجة تظلل وجهك، تبدين مثل روبين، او ربما مثل فانديك في عتمة هذه الغرفة بينما رائحة زيت التفط ونشارة الخشب، يعيدانني الى هولندا.»
شرحت مبتسمة:«ما شعرت به من ملامستك لهذه المنحوتة؟»
بادلها الابتسام قائلاً:«نعم اعرف.» وقف وحمل المنحوتة ثم تابع قائلا:«السلام والدفء، الرضى والاكتفاء بصورة غير عادية. تستطيعين جني ثروة طائلة إذا ما بعتها لرجال الاعمال. كم مضى لك من الوقت وانت تنحتينها؟»
اجابته موضحة:«ليس من وقت طويل، فقط منذ ان اتيت الى هنا، غريب كيف انتهت الأمور أليس كذلك؟ التقيت بالطبيب جوهانسن، رئيس المعالجين الفيزيائيين في المستشفى المحلي بينما كنت التقط الخشب في شاطىء كاتور، تحدثنا، وبدا مأخوذا بوصفي للمنحوتات، وقبل ان اعرف اين انا رافقني

الى هنا، اختار بعضاً منها ورحل. وبعد بضعة ايام عاد ليخبرني ان ملمسها اعطى السعادة لمرضاه، وجمع بعض القطع التي يهتم بها، وذهب بصندوق ملئ منها.»

«وهل تزودينه بها منذ ذلك الوقت؟»

«نعم.»

«إذا، كان لريان بعض الفوائد.»

هتفت بتعاسة: «ماذا؟ أوه يا ليو، لا تفعل كم مرة يجب علي ان اخبرك بانني لا اريد التكلم عنه؟»

لكنه اصر بشدة: «كم تحتاجين من الوقت لتدركي ان عدم ذكره سوف يبقيه حيًا في ذاكرتك؟ إذا استمريت بالادعاء بانه غير موجود، سوف تدعينه ينتصر عليك، ان تعاستك هي بمثابة انتصار له.»

«ولكن هذا ما زال لا دخل لك فيه.» ونهضت بغضب، تقدم نحوه وانتزعت المنحوتة من بين يديه.

استفزها قائلا: «اسمعي، حدة اعصابك معي لن تحل مشاكلك، اخرجي من برجك العاجي يا هيلاري، قبل ان يفوت الأوان، قبل ان تتحولي حقيقة الى امرأة متغطرسة التي كنت للحظة خلت تبدين مثلها.» وبابتسامة ساخرة لشكلها الغاضب الذي يغلفه الصمت، خرج من المنزل، قرمت بأدواتها على المقعد بقوة تكفي لتكسرها، اعادت المنحوتة الى الصندوق وركلته.

كيف تجرأ بأن يدعوها متغطرسة؟ كيف تجرأ؟ وهذا لم يكن صحيحا، فهي ليست متغطرسة اطلاقا! وماذا حصل للمرح اللطيف السلس الذي كان يميزه منذ قدومه؟ حسنا، لم يستلزم الوقت الطويل لإظهار طبيعته الحقيقية! وبإصرار مفاجئ على ان تكون لها الكلمة الأخيرة، لحقت به، وفتحت الباب الأمامي بقوة، صارخة فيه: «انا لست متغطرسة! وحتى لو كنت كذلك، فلا شأن لك.»

عندما لم تتلق أي رد، رجعت هيلاري الى الداخل وصفقت الباب خلفها، يا له من سافل حشري، ولم تكن في مزاج الآن لإتمام عملها، فسارت الى المطبخ. هذا ليس عدلا، لما لا يدعها الناس وشأنها؟

شعرت بالدوار وجلست بانهزام الى طاولة المطبخ، من المحتمل ان يكون الجوع قد سبب لها هذا الدوار، وافترضت انه عليها تناول بعض الطعام، ولكنها في الواقع لا تشعر بالجوع كثيرا.

لقد خسرت الكثير من الوزن خلال العام المنصرم، وهذا الدوران الذي يحدث لها باستمرار، من المحتمل ان يكون تحذيرا لها لأن تتماسك، ولكنها كانت موجات تدعو الى الاهتمام ايضا، فلو حدث هذا لأي شخص آخر لكانت قالت له ان يخرج من هذه الأزمة، وان يتوقف عن الشعور بالأسف تجاه نفسه.

كم من السهل تقديم النصيحة للآخرين، فكرت بهذا وهي تلوي فمها ساخرة من نفسها. ربما عليها العودة الى لندن، وكالة السفر سوف تتقلها لا محالة لو انها طلبت ذلك. ومن المحتمل ان يشعروا بالسعادة للخلاص منها، قرع احدهم على الباب الخلفي في تلك الاثناء، فالتفتت بحدة في ذلك الاتجاه.

«آه، والآن ماذا؟» وقف بأعياء وتحركت نحو الباب لتفتحه، وتوقفت لتحدق بعجز.

قال ليو بخنوع:«هاي.»

اغمضت عينيها جزئيا، وسندت بانهزام الى إطار الباب:«ماذا تريد؟»

عندما لاحظت ابريقاً من العصير في يده، احست بأن اعصابها ستنهار. لا بد أنه ذهب الى منزله بسرعة، وجاء بهذا الابريق.»

سألته:«لماذا؟»

قال بغضب:«اعتقدت انها ربما ستحسن من مزاجك، لقد حاولت ان اكون مهذباً.»

استفسرت غير مصدقة:«مهذباً؟ انت لم تكن مهذباً ابداً، تحسن مزاجي او عدمه لا علاقة لك به، إذا كان هذا لا يعجبك، ابق بعيداً.»

ازدرد بريقه قائلا:«لا استطيع ذلك.» ودفعها ليمر، ثم سار نحو المقعد.

سألته وهي تغلق الباب وتسرع وراءه:«ولما لا تستطيع؟»

«لأن الكولونيل طلب مني ان اعتني بك.»

«ماذا طلب منك؟»

اجاب بلطف:«طلب مني ان اعتني بك.» وسكب العصير في كوبين وناولها احدهما بانحناءة صغيرة ساخرة كادت ان تجعل هيلاري ترمي السائل عليه. هل يعتقد حقا ان سلوكه حتى الآن ممكن ان يسمى بالاعتناء بها؟ فكرت باستغراب ونظرت إليه قائلة ببأس:«ليو، انا لا اريدك هنا، لا اريد تدخلك المستمر في حياتي، اريد فقط ان تتركني وشأني.»

«لماذا؟ لأن سافلاً ما خدعك؟ لا تفقدي روحك المرحة، انظري الى نفسك، هيا، انظري!»

وضع كوبه وكوبها جانبا وأمسك بكتفيها وجرها لتقف امام المرآة متابعا:«هيا، انظري نظرة طويلة لتعرفي كم انت قاسية، ومتغطرسة.»

قاطعته ببأس وهي تحاول الابتعاد:«كلا.»

«نعم، انت لا تبتسمين ابدا، وتصدين أي محاولة للصداقة او المساعدة. وتتجنبين القرويين، الذين حاولوا قصارى جهدهم لمساعدتك، وأنت...»

تمكنت اخيرا من التخلص منه، ثم استدارت وضربته، كل الغضب والإحباط والألم انفجر اخيرا

بشكل عنيف، هذا الغضب الذي كان مخبأ وراء الفتور الذي كان رفيقها للأشهر الماضية. حدقت فيه، وقد اغرورقت عيناها بالدموع، حاولت ان تمر من امامه، ولكنها وقعت في قبضته من جديد.

صرخت:«لا تلمسني.»

«لماذا؟ لأنه يذكرك بكل ما خسرتيه؟ انت مجرد جبانة، وأنا لا اعرف لماذا ازعج نفسي بك! انظري الى هذا المكان الذي يبدو قاتما وجافا مثلك تماما.» ودفعها الى مكانها على الكرسي، وأعاد إليها الكوب.

همست:«لماذا تفعل هذا؟»

قال ليو بصوت مرتجف وبكل بساطة:«لأنني اكره الضياع.»

بدا غير منزعج من سلوكها، راقبته بدهشة وهو يتناول كوبه بهدوء ويجلس على الكرسي امامها قائلا:«الى متى ستستمرين بهذا التصرف؟»

«لا اعرف.»

راقبت العصير في كوبها، وأخذت جرعة منه مفكرة، ألم يكن لديها على الأقل حرية الاختيار؟ رفعت عينيها، لتنظر الى ليو، ووجدته هو ايضا يحدق بكوبه، وأفكاره ليست اهنأ من افكارها، احست بهذا من خلال مظهره القاسي، والعلامة الحمراء على وجهه من اثار الصفعة، كانت تختفي وفجأة

ارتعبت من غضبها الذي لم تتحكم فيه. قالت له بأسف:«آسفة.»

اجاب:«حسنا، على الأقل كان عملاً ايجابياً.» ووضع اصبعا على خده ثم تابع:«هذا ما احبه فيك، هيلاري، لا تضيعي من مفعول الكلمات فتصفعينني، من المثير الشفقة انك لم تفعلي هذا لريان.»

وافقته بقولها:«نعم.» نظرت إليه بذهول لتقول مستدركة:«مثل؟»

اقنعها بنعومة:«اشربي العصير.»

رشفت من الكوب ووجدته طيب المذاق، ثم سألته بهدوء:«منذ متى تعرف الكولونيل؟ لم يقل لي شيئا حول تأجيره منزله، ولا يوجد سبب لعدم اخباري على أي حال.» اضافت بسرعة:«ولكن يبدو الأمر غريبا بعض الشيء.»

تمتم:«كان مفاجئا.» ولكنها لاحظت انه لم يتفوه عن المدة التي عرف بها الكولونيل.

وقبل ان تعاود السؤال اضاف:«هيا، اشربي وإلا سأعتقد انك لم تسامحيني.»

رشفت من العصير مرة اخرى ثم قالت:«هذا ما يهمك اكثر من أي شيء اخر، كم ستبقى هنا؟»

«بضع اسابيع، جئت لزيارة شقيقتي جوين، فهي تسكن في مكان ليس ببعيد من هنا.»

liilas.com

«نعم، هذا ما اعتقدته.» ثم اضافت تسأله بفضولية: «ما العمل الذي تقوم به؟»

همس بلطف: «العمل؟» ثم حوّل نظره الى الاسفل وأجاب بابتسامة واهية: «انا اعمل في العقارات، ابيع، وأشتري، وهكذا اشياء. هل ما زلت تحبينه؟»

طالبته بحدة: «أوه، ارجوك! هل علينا ان نستمر بالتحدث بشأنه؟»

«نعم، هل ما زلت؟»

اجابت: «لا اعرف.»

لم يسألها احد هذا السؤال وكأنما لم يخطر ببالهم اطلاقا انها ما زالت تحبه، حتى انها هي نفسها لا تملك الإجابة على ذلك، لكن ما تعرفه جيدا هو انه كلما جاء ذكره يخفق قلبها بشدة وتابعت وهي تنظر الى الكوب: «لا اعرف، يجب ان لا افعل، يجب ان اكرهه، ففي بعض الاحيان اشعر وكأن ما كان لم يكن حقيقيا، وكأن أي من تلك الاشياء لم تحصل ابدا مع انني اعرف انها حصلت.»

قال وكأن الامر لا يهم: «ليس هناك عيبا في ان نحب، هل احبك هو جيدا؟»

همست: «ماذا؟»

اوضح سؤاله: «هل كان صديقاً مهتماً؟ ولطيفاً؟»

قالت باختصار: «لا اعرف... لم يكن لدي اي صديق من قبل، لهذا لا يمكنني المقارنة.»

سألها بلطف: «ولا منذ ذلك الحين؟»

«كلا.» فجأة تذكرت حادثة حصلت معها منذ بضعة اشهر مضت، ابتسمت ابتسامة خفيفة وهي تقول: «كدت ان افعل ذلك تقريبا، فلقد دعاني لـ... الى احدى الرحلات للخروج. غريب، انا لا اذكر حتى اسمه، لا اعتقد انني اعجبت به كثيرا.»

«لكن ذلك ارضى كبريائك، اليس كذلك؟»

لم تفكر بمثل هذا الامر قبلا، فقط دفنت هذه الذكرى مع كل شيء آخر، ولكن بالعودة الى التفكير بها الآن، عرفت انه على حق.

بوجه كئيب قالت: «نعم، اعتقد ربما كذلك، خرجنا لتناول الطعام معا، وعندما اعادني الى المنزل اراد الدخول، وقفت عند عتبة بابي ومنعته.»

علق بالقول: «يا لك من فتاة سخيفة!»

تجهم وجهها وقالت: «لماذا؟ كانت ردة فعل طبيعية، اليس كذلك؟ لقد تأذيت، فالرجل الذي اعتقدت انه احبني خدعني وسلب مالي، اعترف انه لم يردني من الأساس. كيف تتوقع مني التصرف بطريقة فلسفية؟» وقفت وقد شعرت بالغضب والأذى من جديد، فلحق بها وربت على كتفها، وعندما نظر في عينيها، وجد انها على وشك ذرف الدموع.

قال لها مؤاسيا: «لا تبكي من اجله يا هيلي، فهو لا يستحق منك ذلك.»

انكرت بثبات:«هذه الدموع ليس من اجله، بل لأجلي.»

«لماذا؟ الأنك لا تشعرين بأنك محبوبة؟»

سألته بخشونة:«ألا يحق لي؟ او ان الشفقة على نفسي غير مسموح بها؟ لماذا تفعل ذلك بي؟»

قال ببساطة:«اريد ان تعود هيلاري الى طبيعتها.»

كررت بغباء:«أعود؟ كيف ذلك؟ انت لا تعرف شيئاً عني.»

اجاب بلطف:«ألمس بعض الاشياء منها احياناً. لفتة رائعة، لمحة من المرح تختفي سريعاً، لحظة لا اكثر من ذلك الجمال المتغطرس، اول مرة التقيتك، شعرت في الحال بأنك فتاتي.»

اجابت بارتجاف:«ماذا؟ لا تكن سخيفاً.»

سأل بخفة:«لماذا تعتبرينني سخيفاً؟»

اصرت بعناد:«لأنك كذلك، فانت حالما ترى واحدة، تعتقد بانها فتاتك.»

فقال:«لا اعلم لما تظهرين عدم التصديق.»

اشاحت بوجهها عنه وقالت:«لقد تأخر الوقت.»

قال وهو يناولها الكوب من جديد:«اكملي العصير وبعدها اذهبي للنوم.» ثم تحرك نحو الباب متابعاً:«ليلة سعيدة، يا هيلاري.»

تمتمت:«ليلة سعيدة.» هكذا إذاً؟ مهمة مكتملة!

تعليمات الكولونيل قد نفذت بحذافيرها!.

شعرت بالكآبة بشكل لا يوصف، وتجولت في المنزل الذي بدا وكأنه غارق في الفراغ والوحدة، ففاجئت كيف انها لم تلاحظ ذلك من قبل. ارتشفت العصير، وهي تجول بنظرها حول المكان، انها لم تلاحظ ابدا مدى اتساخ كل شيء الى ان قال لها ليو ذلك.

عندما انتقلت في البداية الى هذا المنزل لم تهتم بأي شيء، ولا بما يحيط بها، ولو لم يزودها القرويون بلطف بالغ ببعض المفروشات، لكان من المحتمل ان تبقى الغرفة خالية. فالمقعدين وطاولة المطبخ مساعدة من الكولونيل. الفتاجين والصحون وأوعية الطعام والخزانة، جاء بهم فرانك جرين من محل القرية. الاشياء الوحيدة التي اشترتها بنفسها، كان السرير والاغطية، ثم حسب ميزانيتها اخذت بشراء الملابس الجديدة، ولا شيء آخر، ليو على حق فيما قال، لقد تحولت الى فتاة انزوائية لا تهتم بأي شيء، بالكاد تشارك في الحياة حولها. حتى انها بالكاد شكرت القرويين، وصاحب المحل، لكرمهم ودعمهم، مفضلة ان تشتري حاجاتها من نرويش بدلاً من ان تتحمل ثرثرات القرية في الحانوت المحلي. كان قد سألها كم من الوقت تحتاجين؟ كم بالتأكيد؟ انهت شرابها، ثم اخذت الكوبين الى المطبخ.

فيما كانت تصعد الى غرفتها ببطء، شعرت بالارهاق الشديد فحدقت هيلاري حولها بكآبة. لا تدعيه يفوز عليك، هذا ما قاله ليو، وكان على حق، لأن هذا ما كانت تفعله طوال الوقت. تشعر بالأسف على نفسها بدلاً من ان تحارب لتعود الى طبيعتها. لكن لماذا سمحت لليو بأن يستدرجها لتبوح له بمكنونات قلبها؟ اين كبرياؤها؟ لقد كان غريبا، وخلال بضعة اسابيع سوف يعود الى استراليا. دخلت الى السرير، وكان وجه ليو في مخيلتها وهي تغفو وليس وجه ريان.

* * *

رأت شقيقته وابنها في صباح اليوم التالي بينما كانت تملأ سيارتها بمنحوتاتها لنقلها الى المستشفى. لقد افترضت هذا لأنها رأتهما يسيران مع ليو على الدرب في اتجاهها. لم تنتظر لتتعرف إليها، بل صعدت السيارة وانطلقت بسرعة. انه عمل جبان بدون شك، ولكن لسبب غريب، ولسبب غير محدد لم ترد التعرف الى اقربائه. لقد كان متطفلا كفاية هو وجده. لو ظنت انها تهربت من هذا الأمر، فهي حتما مخطئة. فليو كان يجلس عند عتبة بابها ينتظرها عندما وصلت.

اطفأت المحرك وأخذت تنظر إليه بحنق. لقد بدا

سخيفاً بشكل كبير، وهو يجلس وظهره الى الباب، معرضا وجهه لأشعة الشمس الضعيفة، وعينيه مطبقتين. كان يرتدي سروال جينز رخيص لم يسبق له ان كواه، وقميص رمادي خفيف وكأنه في فصل الصيف ولم يبد عليه انه يكترث للرياح الشمالية القارصة التي تعصف. أي شخص آخر كان سيرتدي الملابس الصوفية السميكة، حتى هيلاري، ان كل المشاعر المربكة التي حاولت تجنبها ليلة أمس عادت اعنف الآن.

خرجت من السيارة وصفقت الباب وراءها بعنف، وعندما لم يتحرك ولم يعط أي إشارة انه شعر بوجودها مع انه لا بد انه سمع صوت السيارة تتوقف، الا إذا كان اصمّ. تقدمت نحوه ووقفت، اخذت تحدق به وكأنها غير موافقة على كل الذي يجري ويدور.

سأل بهدوء وببرود:«هل تتجنبينني يا هيلاري؟» وعندما بقيت صامتة، فتح عين واحدة ليلاحظ وجهها الغاضب.

قالت باستهزاء:«لو اعتقدت انه لدي فرصة واحدة للنجاح في ذلك، لكنت فعلت، كما انك تسدّ عليّ الدخول الى منزلي.»

قال:«لا بد انك نادمة على الثقة التي منحتني إياها ليلة امس.» وفتح عينه الاخرى، رأى وجهها الجامد

والمستغرب. وقف وابتعد لكي تستطيع فتح الباب بتكاسل، ثم تبعها الى الداخل.
وقف عند الباب المؤدي الى المطبخ، وأخذ يراقبها وهي تضع الابريق على النار. سألها:«متى اخبرك ريان انه خرج معك فقط من اجل المال؟»
«ماذا؟»
«لقد قلت ليلة أمس...»
«قلت الكثير ليلة أمس!»
وافقها:«والآن انت نادمة.» وبدا متعقلاً الى درجة مغيظة في مواجهة غضبها.
صرخت بحدة:«أوه، هل يمكنك ان تخرج؟ فانت تدفعني الى الجنون.»
اردف:«حسناً.» واستدار على عقبيه، ثم خرج.
صرخت بحنق:«ليو!» اسرعت وراءه وعندما استدار، قالت:«اعتقد انك الانسان الاكثر ازعاجا الذي اتاح لي حظي التعيس بأن اقابله! ماذا تعني بكلمة حسناً؟»
اجاب:«لا شيء إذاً. متى قال لك ذلك؟»
«وما الفرق الذي قد يحدث الآن؟»
«لا شيء، ولكنه أمر كان يزعجني. قلت انك عدت من فرنسا لتجدي ان المنزل قد دمر وريان ذهب، إذا متى اعترف انه اراد مالك؟»
سألته متشككة:«هل انت متأكد بأنك تعمل

في مجال العقارات؟ فانت تبدو غير عادي مثل رجال الشرطة، تبحث عن دليل او...» انها إذا لم تخبره فمن المحتمل ان يبقى هنا طوال اليوم، لذا تابعت:«استلمت رسالة منه بعد بضعة ايام، وقد ارسلها الى وكالة السفر، هل اكتفيت؟»
«من اين ارسلت؟»
«لا اعرف، لم انظر الى الرسالة فقد مزقتها ورميتها بعيداً.»
«ماذا جاء فيها؟ لا يريدك ابداً؟ وانه كان يصادقك فقط من اجل مالك؟»
همست:«نعم، وان اقول لاصدقائي ان يكونوا اكثر حرصاً عندما يناقشوا امور الآخرين في المخزن على سبيل المثال. والآن هل تذهب؟»
اومأ مفكراً، ثم استدار وتركها.
تنفست الصعداء، وعادت الى المطبخ لتعدّ الشاي، لماذا يريد ان يعرف كل تلك التفاصيل؟ وما الاختلاف المحتمل الآن؟ شعرت بالانزعاج والاعياء، وأخذت فنجان الشاي الى غرفة العمل، آملة ان تكون منحوتاتها بمثابة علاج لها كما هي الحال بالنسبة للمرضى في ذلك المستشفى. كان من الصعب التذكر كيف كانت حياتها قبل ان يقتحمها ليو. ولكن ما من شك، انها كانت اكثر سلاماً.

الفصل الثالث

لم يهدأ العمل في نفس هيلاري للمرة الأولى، فقد بقيت افكارها منشغلة بـ ليو، لماذا يسأل دائما عن ريان؟ فهو لا يريد استفزازها تحديدا، ولكنه يريد ان يعرف امورها الشخصية، لماذا؟ فهذا الأمر يوخزها كثيرا تماما مثل ألام الاسنان، او ربما كل الاستراليين بهذه الطباع يهتمون اهتماما غير عادي بشؤون الآخرين، او ربما هو يشعر بالملل. فالحياة رتيبة ومملة في نورفوك الصغيرة، إذا ربما هذا هو السبب، لكنه ليس التفسير الذي يقنعها. واعترفت بينها وبين نفسها بصدق بأنه يشعر بأشياء غريبة خلال لقاءاتهما معا.

قررت انه من غير الجدوى الاستمرار بالعمل بينما تفكيرها لا يستطيع الاستقرار على شيء، وضعت اشياءها بعيدا. سوف تاكل، او ربما تتنزه، او تدهن غرفة الجلوس، قررت فجأة.

نهضت مسرعة، مشت عبر الردهة الصغيرة الى الغرف الخلفية. وبينما كانت تخطو نحو الباب لاحظت كم ان الغرفة معتمة وكئيبة، فالجدران والسقف بلون بني داكن، منذ سنوات طويلة وبسبب اشعال الفحم لم يعد لون الطلاء الاصلي

محدد كما كان في الماضي. تذكرت حانوت القرية الصغير يبيع الطلاء، وربما تستطيع الذهاب الى نرويش لشراء برادي جديدة، بنقشات ملونة تبهج النفس.

اغمضت عينيها وحاولت التصوّر كيف يمكن ان تبدو الغرفة بعد هذه الإضافات، ومن المؤكد لن تكون بأسوأ مما هي عليه الآن.

ما ان قررت، حتى اصبحت متشوقة للمباشرة بهذا العمل، وللمرة الاولى منذ زمن بعيد، احست بالحيوية وبالحماس. اعدت لنفسها غداء وضغطت على نفسها لتاكل. غسلت صحنها وفنجانها بسرعة، وأخذت حقيبة يدها وسترتها، ثم اسرعت الخطى نحو الباب الامامي.

عندما استدارت في المنعطف المؤدي الى القرية، ابطأت تدريجيا وتوقفت لبرهة عندما رأت ليو يترجل من الناقلة المحلية.

ترددت، فهي لا تريد مواجهته، وحاولت ان تخفي نفسها، منتظرة ان يبتعد. راقبته وهو يتكلم مع سائق الناقلة قال له شيئا ثم ضحك، فشعرت في الحال بفراغ موجع، بداخلها. لقد مضى وقت طويل منذ ان ضحكت، وشاركت بتبادل النكات او تصرفت بمرح وانطلاق، من المفرح ان يكون المرء برفقة ليو، انه صديق عظيم، صديق جيد، فكرت وهي تبتسم

liilas.com

بحزن عندما استدار ناحيتها وكأنه كان على علم بوجودها منذ البداية، وكان عليها ان تدرك انه لن يبتعد عنها، بل تقدم ناحيتها بخطى سريعة بداوكأنه سائق سيارات للسباق، او بحار يبحر حول العالم، شيء فيه تحد ومنافسة، ولكن بالتأكيد ليس شيئا رتيبا كوكيل عقارات.

حيته بحيوية:«مرحبا.» توقفت عن التقدم وسألته:«ماذا تفعل في الحافلة؟»

«تعطلت اللاند روفر في طريق عودتي من نورويش.» شرح لها هذا بنفاد صبر وابتسمت له هيلاري بتردد. قالت بجفاء:«هذا لا يفاجئني اطلاقا. عندما اوصلتني مساء امس كانت تبدو على انها ستتعطل في أي لحظة.»

«كنت اتساءل...»

«كلا.» قالت رافضة وقد عرفت تماماً ما الذي سيقوله. تجهمت فجأة ولم تلاحظ للحظة بأنها عادة الى اطباعها الحادة القديمة. وتابعت تقول:«قطعا لا، ومن بعيد الاحتمال انه بمقدورك الدخول الى سيارتي الصغيرة.»

اخذ ينظر إليها وكأنه يقيمها فلم ترتاح لنظراته تلك ثم سألها بلطف:«هل قررت الانضمام الى العنصر البشري؟»

لشدة غبائها شعرت بالاحراج، وكأنها ضبطت وهي

تفعل شيئا لا يجدر بها فعله، اشاحت بنظرها وقالت بوهن:«كنت ذاهبة الى المحل لشراء الطلاء.»

استفهم:«طلاء؟» وكأنها عبارة لم يسمعها من قبل، او كأنما قالت انها ذاهبة لشراء زرافة. فكرت بشيء من الاستغراب.

«نعم، طلاء، سوف أعمل بنصيحتك وأجعل من غرفة الجلوس اكثر ضياء.»

سألها مبتسما:«باللون الاحمر؟»

«كلا يا سخيف، باللون الابيض او ما يقاربه.»

«طبعا، هذا صحيح تماما.»

تمتمت بارتباك:«حسنا، من الافضل ان اذهب.»

وضع يده على كتفها لمرافقتها فارتعشت من ذلك بينما قال:«نعم، وعليّ ان اذهب الى الكاراج لذا سأرافقك.»

عرضت عليه بسرعة:«استطيع المرور بالكاراج لأجلك.»

لم تكن متأكدة من صوابية مرافقته لها الى أي مكان. فسيره معها يشيع نوع من الألفة ارادت ان تجنبها، الى جانب ان منظرهما معا سوف يجلب كل انواع التساؤلات ما بين القرويين.

همس بنعومة:«توقفي عن محاولة التفكير بأعذار كي لا امشي معك، اعدك بأنني سأحسن التصرف.»

«هذا سيكون بمثابة تغيير لك.»

سارت الى جانبه بهدوء بينما استمر هو في التعليق السريع على كل ما يمران به او يرياه، وشعورها بالدفء الى جانبه جعلها تشعر بعدم الاستقرار اكثر، وإجاباتها عليه كانت محددة ومختصرة.

ارادت الابتعاد عنه من دون ان تثير مناقشة عن تصرفها قد يحصل دون شك.

قال بنعومة:«هذه سيدة بيسون. هل تريدين اعطاءها شيئا لتتكلم عنه؟»

هتفت بذعر:«كلا، لا اريد. فالسيدة بيسون تعتبر اكثر ثرثارة في القرية.» ثم انذرته قائلة:«ليو دعني أذهب.» وشعرت بمدى غبائها عندما منحت السيدة بيسون ابتسامة واهية وهي تحاول الابتعاد عنه.

علق بسخط:«عليك ان تكوني مسرورة.»

سألته:«لماذا؟»

اجابها:«لأنها تستطيع الآن الكلام عن الرجل الاسترالي اللطيف الذي يساعد الآنسة دوسون كي تشفى من مأسباتها.»

شعرت بالخجل من الطريقة التي نطق بها مما جعلها تبتسم بتردد. هذا تماما ما ستبدأ السيدة بيسون بالثرثرة عنه. أي شيء لا يلاحظ بالأمر الطبيعي ستذيعه وستضيف عليه بريقا، فمثلا سوف تتوقف للحظة، وتتلفت بتشكك حولها وكأن شخصا ما يستمع إليها وبعدها تقول كلمتها

بطريقة تمثيلية. فالمتاعب والمآسي كانتا كلماتها المفضلة بالتحديد.

عندما وصلا الى الكاراج انفصل عنها ليذهب ويحل مشكلة اللاند روفر، وتابعت هيلاري وحدها، تتردد امام المحل الصغير. اخذت نفسا عميقا لتمنح نفسها الشجاعة قبل ان تدفع الباب، وقطبت عندما حذر الجرس برنينه جميع من في الداخل الى دخولها، رفضت ان تختبيء وراء البضاعة كما تفعل عادة، وسارت بجرأة الى المكان الرئيسي في المحل. ابتسمت لمجموعة النساء المجتمعة امام الواجهة ولاحظت تحياتهم المفاجئة قليلا، كانت شاكرة جدا لفرانك جرين، صاحب المحل، لمعاملتها وكأنها زبونة دائمة وقديمة بدلا من غريبة، بينما وجهه الممتلىء يبتسم لها بدفء وهو يقول:«سوف اكون معك بعد لحظة يا آنسة دوسون.»

قالت بوهن:«حسنا، سوف اتجول في المحل، احتاج لبعض الطلاء.»

تلقت نفس الاستغراب الذي تلقته من ليو. الا يشتري احد طلاء؟ وأخذت تتجنب النظرات الفضولية، ومشت الى قسم البضائع الحديدية ملاحظة ان الهمسات توقفت بمجرد ان ابتعدت عن انظارهم. حسنا، لقد عرفت ان الامر لن يكون سهلا.

اخذت تنظر الى الرف الاخير عندما سمعت جرس

الباب يرن من جديد، ورأت السيدة بيسون تدخل منه.
تباً، ثم بدأت الهمسات ما ان اخذت السيدة بيسون بنشر اخبارها. احست بالشفقة عليهم لأنه بالرغم من حساسيتها لتدخلهم المستمر بشؤونها، عرفت ان ذلك لا يعني الخبث، وقد كانوا لطفاء جداً بعد خيبتها من ريان، لذا عادت الى الواجهة.
قالت هيلاري بهدوء وهي تقترب من الجمع الصغير:«اعتقد انني بحاجة لبعض النصح، بالرغم من كل شيء.» وحاولت ان تبدو وقد تفاجأت لوجود السيدة بيسون بهذه اللحظة فقط قائلة:«مرحبا من جديد، سيدة بيسون. سوف اطلي جدران غرفة الجلوس، ولكن هل استعمل اللون الابيض الكلسي؟ فينيل؟ او السادة؟» وأحست بأنها احدى الممثلات في برنامج للأطفال، وبسرعة حاولت السيطرة على ارتعاش شفتيها. وتساءلت عما إذا كانت تبدو مختلة عقلياً كما شعرت، فنظرت الى فرانك جرين، بخبث، ثم انفجرا معاً بالضحك.
وافقها بخشونة:«حسناً، من مدعاة سروري ان اساعدك الآن.»
جاء بلائحة الألوان، وأبعد الاغراض الى جانب واحد ليتمكن الجميع من الرؤية وليعلقوا على الأمر كما يروه مناسباً، فقد كان واضحاً ان نقاشاً جاداً مثل طلاء الجدران سيحتاج الى مشاركة العديد من الناس.

انحنى الجميع للنظر الى اللائحة، رن جرس الباب من جديد، التفت الجميع وكأنه شخص واحد، فتسمّرت هيلاري مكانها غير مصدقة، لقد كان ريان يقف عند الباب، وتعبيره مرتعب تماماً كما تعبيرها تماماً.
لم تستطع التفكير بأي شيء في هذه اللحظات، سوى المرور بسرعة من امامه والى خارج المحل. حيث استمرت بالركض دون ان ترى الى ان امسكت بها يدين قويتين.
«ماذا؟» سألها ليو وهو يحدق بوجهها المرتعب وسألها بقسوة:«ماذا هناك يا هيلاري؟»
اجابت بصوت متهدج:«ريان.»
«أين؟»
«في المحل.»
قال باختصار وهو يديرها في الاتجاه الذي جاءت منه:«حسناً.»
تسمرت في مكانها، رافضة التحرك قائلة:«كلا يا ليو.»
عارض بتجهم:«نعم.» وتغير تعبير وجهه تماماً الآن، وذهبت ملامحه الودودة. بدا فجأة قاسياً جداً وخطراً، عندما اضاف:«سوف تذهبين الى داخل المحل لمواجهته. نعم سوف تفعلين.»
همست:«لا استطيع، حقاً يا ليو، لا استطيع.»

ادارها لتواجهه، وأمسك بوجهها براحتي يديه قائلا:«لقد كنت تقيمين في ذلك البيت الحقير لمدة سنة فحوّلك الى جبانة. انه لص يا هيلاري، إذا تسلل احدهم الى منزلك وأمسكت به، تضربينه على رأسه، أليس كذلك؟»

«هل يمكن ان افعل ذلك؟»

سألته بيأس، وغير واثقة من انها تستطيع فعل أي شيء من هذا النوع.

«نعم، تستطيعين، وسوف تدخلين الى المحل لتمنحينه النظرة الاكثر احتقارا وغطرسة التي تقدرين عليها، وانت تستطيعين ذلك.»

ثم تابع بعد توقف قصير:«تستطيعين ان تبدي مثل أكثر الدوقات غطرسة عندما تريدين ذلك. انا اعرف، وقد حدث ذلك معي فعلا! لذا توقفي عن الادعاء بأنك لا تستطيعين لأنه باستطاعتك ذلك. وإذا كان عليّ جرك الى هناك، سوف افعل ذلك.»

قالت بخوف:«لما هو هنا؟»

«لا اعرف، سوف اسأله.»

هتفت مرتعبة:«لا تستطيع.»

«طبعا استطيع، وإذا ما اردت معرفة شيء، ما عليك سوى طرح السؤال.»

حدقت فيه، وأدركت انه على حق، لكن مجرد فكرة مواجهة ريان من جديد جعلتها تشعر بالغثيان

قالت:«ولكن ماذا عليّ ان اقول؟»

قال باختصار:«لا شيء، وإذاحاول التكلم معك سوف تنظرين إليه نظرة متغطرسة ولكن بصمت.»

احست بالألم يعتصرها من الداخل، وبأنها لا تستطيع التركيز على أي شيء، سمحت لليو ان يسرع بها الى المحل من جديد. وعندما وصلا الى الباب ترددت ونظرت إليه بلوم.

فتح الباب على مداه وهو يبتسم ابتسامة واهية، لقد كان يدرك جيدا انه بمجرد قرع الجرس فان كل من في الداخل سوف ينظرون الى الباب، وبصورة مفاجئة قبلها قبلة سريعة جعلتها عاجزة عن التفكير.

اخذت نفسا عميقاً وقد شعرت بالامتنان العميق لوجود ليو لحمايتها ثم تقدمت الى الداخل.

«فتاة سخيفة اخذت مفاتيح سيارتي.» كان هذا عذرا مقبولا لتركها المفاجيء للمحل ما من احد سيصدق روايته، ولكنه على الأقل كان شيئا باستطاعة الجميع التظاهر بأنهم قبلوه.

ابتدع فرانك واحدة افضل فقال:«زوجتي فعلت ذلك مرة، اخذت السيارة الى الكاراج وأخذت مفاتيحي معها. وأخذ مني وقتا طويلا لأتعقبها.» وابتسم لهيلاري متابعا:«والآن، اردت الطلاء، أليس كذلك؟ اشرح الفتيل السادة...» وتناقش الجميع في ذلك

يحمون هيلاري من ريان الذي كان يقف الى الجانب الآخر جاهلا ما يدور حوله.
بعد لمحة سريعة نحوه، ابقت هيلاري ظهرها له. وشعرت انه لولا ذراع ليو الثقيلة حول كتفيها، لكانت هربت من جديد.
حدقت بفراغ في لائحة الألوان التي وضعت بين يديها، ونظرت الى ليو، كان يتكلم ويبتسم وكأن ليس هناك من شيء ولكن التعبير في عينيه كان يكذب طبعه اللين. بدا أنه رجل ينتظر شيء ما. رجل يتمتع بصبر غير محدد.
غير قادرة على احتمال الجو المتوتر اكثر، التفتت لتنظر الى ريان.
التفتت من جديد الى فرانك جرين وسألته:«هل تعتقد ان الابيض هو اللون المناسب؟» وبعدها تنهدت بارتياح عندما سمعت باب المحل يفتح ثم يغلق. همست:«هل ذهب؟»
قال فرانك باختصار:«نعم.»
سأله ليو:«هل تعذرني لدقيقة؟ عليّ ان آخذ هذه المفاتيح الى الكاراج.»
ضغط على كتف هيلاري مطمئناً وأضاف قائلاً:«ولا تحاولي نقل الطلاء الى المنزل بمفردك، انتظريني هنا، فلن اتأخر.»
عندما اغلق الباب وراءه حدقت هيلاري من جديد

في لائحة الألوان، شاعرة بالضياع والرفض في آن واحد، وقد عرفت الى اين هو ذاهب، سيواجه ريان، ولم ترد ان يفعل ذلك.
وعندما تحركت لتلحق به قال فرانك بلطف:«افعلي كما قال لك، يا آنسة، دعي ليو يتولى الأمر. انه رجل حكيم، انني متأكد.»
حدقت فيه، وبعدها في الوجوه المهتمة، ثم همست:«لا اريد حدوث أية مشاكل.»
أكد لها فرانك:«لن يحدث شيء.»
سألته بيأس:«ولكن لما عاد؟»
جاوبها فرانك بفرح كبير:«ليعرف لما لا يستطيع اخذ الاذن بالتخطيط، كما اتوقع، في كل مرة يتقدم بطلبه يرفض فوراً، لسبب او لآخر. شقيقي في المجلس.» شرح لها بعد ان رآها لم تفهم ما يقول وأضاف:«ريان وشريكه فكرا انهما يستطيعان اخذ رخصة لبناء العقار على الارض حيث كان منزلك قائما، وحتى لو لم يخدعك وهو شيء اكثر من كاف لتضع حدا لمشاريعه، فإننا لا ننوي ان تقوم مشاريع اسكان هنا، فهذه قرية صغيرة، قديمة الطراز، ربما اقطاعية قليلا في بعض النواحي، ولكننا نحبها.»
ثم تابع بعد تنهد قصير:«لما بقينا هنا لو لم تكن كذلك، لذا قررنا ان نوقفه عند حده، طلب الكولونيل

من الناس المعنيين بالأمر وكلفهم بالوقوف في وجهه، وفي كل مرة يعرض ريان الخطط يوقفونها له بطريقة أو بأخرى. كان يعتقد انه سيجني الكثير من المال من جراء تنمية اعماله.»

سألته وقد بدأت تشعر بسرور من سخرية الأمر: «إذا ريان علق بقطعة ارض لا يستطيع البناء عليها ويستطيع بيعها فقط كقطعة ارض؟»

«إذا باعها فسيكون بسعر ليس اغلى بكثير من ثمنها، وهذا لن يعيد اليك مالك يا عزيزتي.»

«فهمت وهل تعتقد ان هذا هو سبب عودته؟ ليعرف ما إذا سمح له؟»

«اعتقد ذلك، ولم يتوقع وجودك هنا.»

«لقد كان ذلك بمثابة صدمة.»

«لقد كان ذلك صدمة.»

قالت بتمهل: «انا لم اتوقع ذلك ايضاً وقد كنتم جميعاً لطفاء للغاية.»

«حسناً، لم نستطع الوقوف على الحياد، لقد كان ريان واحداً منا، يمكنك القول، لذا كان الأمر منوطاً بنا لنضع حداً له. اصلحنا الأمر بالطريقة الوحيدة التي نعرفها. وجدنا لك مكاناً لتسكني فيه حيث تستطيعين تضميد جراحك فيه بخصوصية، مكان نستطيع ان نراقبك فيه، لنعرف بأنك بخير.»

اعترضت السيدة بيسون: «وفي نفس الوقت الذي

بدأت تخرجين فيه من الأزمة، عاد السافل.»

وقد ادهشت ليس هيلاري فقط، ولكن الجميع ايضاً. فلم تكن السيدة بيسون تنطق بالكلام الكبير، وبالتأكيد ليس بصوت عال.

همست هيلاري: «لا اعرف ماذا اقول.»

وشعرت بوخز في حنجرتها فلم يخطر ببالها ابداً التساؤل لما كانت الارض حيث بني المنزل ذات مرة ما زالت خالية. فهي لم تمر ابداً في تلك الطريق حين كان باستطاعتها تجنبها.

قال فرانك بتجهم: «إذا لا تقولي شيئاً، الى جانب، اننا نحبك، حتى لو كنت غريبة. فهذا الأمر له ناحيتين، كما تعرفين. نعمل لك، وانت تعملين لنا.»

قالت بصدق وهي تدرك للمرة الاولى مشاعر الآخرين نحوها: «ولكنني لم افعل اي شيء الا ان اكون مأساة كاملة.»

في لندن من الممكن ان تسرق، تعتقل حتى، دون ان يهتمّ احدهم بها، ولكن هنا، في هذا المكان الصغير يفعلون ما باستطاعتهم لمساندة المظلوم.»

سألها فرانك: «هل تعتقدين اننا لا نعرف بأمر المحوتات التي تصنعينها للمستشفى؟» وابتسم بعد ذلك لما بدا عليها من الاستغراب وتابع: «انه مجتمع صغير يا هيلاري والمستشفى هو جزء منه. دكتور جوهانس اخبرنا كل شيء عن العمل الذي

liilas.com

قمت به، وكيف انك لم تأخذ اجراً لذلك. والآن لنعود الى لون الطلاء، الا تعتقدين ان اللون الابيض مناسب أكثر، فهو مضيء جداً يتناسب مع الأطر القديمة. تحتاجين الى اثنين، وربما ثلاثة اوجه، هل عندك فرشاة؟ وصينية؟»

راقبت العدة المتراكمة على الواجهة، وهي تهز برأسها بغير رضى. انها لا تستطيع تحمل تكاليف كل ذلك. فقد نوت ان تشتري علبة طلاء صغيرة وفرشاة. سألته بوهن: «بكم ادين لك؟»

«اضيفيها على الحساب.»

عارضته قائلة: «ولكنني لا املك اي حساب.»

قال بلطف: «انت كذلك الآن. انتظري ليو، فلا اعتقد انه سوف يتأخر. والآن سيداتي.» اضاف قائلاً وهو يلتفت الى الأخريات: «هذا ليس بناد اجتماعي. ماذا تردن جميعاً؟»

شعرت انها مثل اللعبة الالية التي لا تعمل بدون مفتاح، لم تعد حياتها ملك يديها. بدا ان كل شخص اخر يديرها لها. الكولونيل، اهل القرية، حتى ليو. هل اعتقدوا جميعا انها غير قادرة على صنع قراراتها؟ حتى لون الطلاء تحدد من دون الأخذ برأيها.

رن جرس الباب، استداروا جميعاً وكأنهم دمى متحركة يديرها معلم، اومأوا وابتسموا لبعضهم

البعض لدى دخول ليو. سألها ليو مبتسماً: «جاهزة؟»

ثم التقط الطلاء والادوات الاخرى، اومأ لفرانك وفتح ابتسامة للجميع، وخرج... لحقت به بسرعة، واستدارت لتمنحهم هي ايضا ابتسامة واهية، وانضمت اليه في الطريق.

«هل رأيته؟»

اجاب بسرور: «طبعاً.»

«حسناً، ماذا قال؟»

قال بعدم اكتراث بينما تابع المسير ناحية البيت: «ليس الكثير.»

استعلمت منه بقسوة: «ليو!» بينما كانت تسرع في الخطى لتبقى قريبة منه في خطواته الواسعة. «انك تتصرف وكأن شيئا لم يحدث.»

اجاب: «هذا صحيح. قلت له بضع كلمات، وعدت الى المحل.»

اصرت: «ولكن ماذا قال؟»

تنهد، وتوقف للحظة منحنياً على السياج الذين يمرون بجانبه. ونقل اغراضها بين يديه لوضع مريح اكثر. شرح بكياسة: «لقد اخبرته انه إذا اقترب الى مسافة مئة ياردة منك سوف ادق عنقه. جيداً؟ هل نستطيع الذهاب الآن؟ هذه الاغراض ثقيلة.»

وبدون انتظار ردها استدار ومضى في طريقه. تاركا هيلاري واقفة فاغرة فاها.

اسرعت وراءه، وغضبت فجأة من ان الجميع يعاملونها كطفلة.«لماذا تأخذ كل هذا الاهتمام بغير إذن لتتدخل في شؤوني؟ كل القرية دخلوا في مؤامرة لحمايتي! انا لست طفلة، كما تعلم.»

قال بهدوء:«نعم، انت كذلك، آه، ها قد جاء اللاند روفر.» قفز الخطوات الاخيرة الى المنزل واندفع الى الداخل، وضع اغراضها على طاولة المطبخ قبل ان يسرع في الخروج مرة اخرى خلف اللاند روفر التي كانت تتقدم على الطريق المؤدي الى بيت الكولونيل.

افترضت ان ميكانيكي الكاراج هو من يقودها. قالت بينها وبين نفسها:«حسنا، سوف تعدين حتى العشرة ببطء شديد.» نصحت هيلاري نفسها وهي تقف في الدرب تراقب اختفاء ليو السريع. تابعت تنصح نفسها:«لن تصرخي. سوف تسيرين بحذر شديد الى المنزل، سوف تضعين الابريق على النار وتصنعين الشاي.»

فعلت ذلك بهدوء تام، لكنها ما ان وصلت الى المنزل، افسدت كل ذلك بصفعها الباب. هل قابلت في حياتها رجلا اغضبها الى هذا الحد؟ رجل مراوغ الى هذه الدرجة وغير مكترث لمشاعر الآخرين، ولكن ماذا يريد منها؟ هل لأنها اقترفت غلطة واحدة... حسنا، إذا كانت تتصرف مثل

غريبة منذ ان تركها ريان، تعيسة وانزوائية، لكن ماذا ينتظر منها الجميع السرور؟

ولكي تغيّر عما تشعر به من احباط جمعت البذور التي كانت قد اشترتها من نورويش في بداية هذا الاسبوع وخرجت بها الى الحديقة الصغيرة. بحثت عن الرفش، وبعد ان وجدته بدأت بعملها.

كانت مغتاظة، وكان ذلك بالتأكيد افضل بكثير بالنسبة للأرض. إذا لم يستلزمها وقت طويل لتنكش الارض.

بينما كانت تتذمر في نفسها عن الاستراليين المتطفلين الذين لا يستطيعون الاهتمام بشؤونهم الخاصة فقط دون غيرهم، لم تسمع خطوات ليو وهي تقترب، كما لم تلمحه ينحني فوق السور. ولم تلاحظ وجوده هناك الا عندما تكلم.

سألها بسرور:«تأخرت قليلا لتبدأي بزراعة البذور، أليس كذلك؟»

اجابت:«إذهب من هنا.»

«يا لك من سريعة الانفعال، لقد جئت فقط لأسألك ماذا فكرت عندما رأيته من جديد؟»

قالت بازدراء وهي تقف على قدميها:«انت ملىء بالذوق والدهاء في الوقت نفسه، الست كذلك؟ ماذا توقعت مني ان اشعر به؟ مسرورة؟ مصدومة هكذا شعرت. تماما كما اشعر الآن تجاه سؤالك

السخيف! إذهب يا ليو إذهب وألعب باللاند روفر، فانا اكيدة انه يمثل تحديا اكثر مني.»
اصر على سؤاله وهو يفرد يديه على السور قائلا: «هل شعرت بأنك اشتقت إليه؟»
تمتمت بوهن: «انا لا اصدق، انا حقا لا اصدق انه بإمكانك ان تكون عديم الاحساس الى هذا الحد، حتى لو كان لك علاقة بالامر، ولكنك لست كذلك.»
وافقها بسرور: «هذا صحيح.» وبدا انه غير محرج من نبرتها بأي شكل من الاشكال وتابع: «ولكن الكولونيل قال ان عليّ ألا اتركك تستسلمين لأفكارك.»
«انا لا احاول التفكير، انني فقط احاول زراعة البذور.»
«لكن ماذا لو جاء الآن؟ ماذا لو انه اخذ يمشي فقط امام منزلك؟»
قالت برصانة: «لا اعرف.» وأطبقت على اسنانها حتى شعرت بالألم؛ حدقت فيه بكره وهي تتساءل ما إذا كان بإمكانها حقا وتملك الشجاعة لضربه بالرفش ثم اجابت: «سوف اتعامل مع الوضع، كما تعاملت مع الامر لسنة مضت...»
قال متابعا: «من اليأس.»
صرخت: «حسنا، من اليأس. ماذا كان علي ان افعل؟ ان اتظاهر بأن كل ما كان لم يكن موجودا.»

قال بإيجابية: «قاومي.» ثم مشى حتى آخر السور، ليقف الى جانبها. «توقفي عن كونك مجرد نعامة مغبونة صغيرة الآن...»
قالت محذرة: «ليو، لقد اكتفيت لهذا النهار. هل يمكنك الذهاب؟ إذهب لرؤية شقيقتك وإبنها...»
«كلا، انا...»
اكملت بقسوة، غير آبهة لمقاطعته: «فقط لا تأت وتزعجني، انا لا احتاج لاهتمامك المزيف، وعلى أي حال، انا لا اتوقع عودته.»
أصر: «أوه، سوف يفعل.» ثم ابتسم لها بخبث: «انا واثق من ذلك، فهو يريد ان يعرف لما انت ما زلت هنا.»
اجابت بدهشة: «هذا ما جعلني اتساءل انا ايضاً. انا حقا مندهشة. كل ما احتجته كان علبة طلاء. انها ليس بالشيء الكثير لأطلبه، أليست كذلك؟ علبة طلاء؟ ومنذ متى اصبحت تعي جيدا الطبيعة البشرية؟ كيف يمكن ان تعرف ماذا سيفعل؟»
اجاب ملمحا: «لأنني رأيته الآن يشق طريقه في هذا الاتجاه.»
حركت كتفيها بإعياء، وانحنت على عصا الرفش: «رائع.» رمقته مستفسرة ببأس: «هل مرت بك أيام تمنيت فيها ملازمة الفراش؟»
قال بسرور: «بالطبع.»

لم ترد، لسبب بسيط، فهي لم تستطع ايجاد ما تقوله لأن الابتسامة التي منحها إياها لم يكن لها مثيل من قبل.

نصحها بنعومة:«قفي على الرفش.»

سألته ببساطة:«عفواً؟»

ردد:«قفي على الرفش، انت قصيرة، ريان لن يراك من فوق السور إلا إذا وقفت على الرفش.»

سألته بوهن:«ولمَ عليّ ان اجعله يراني؟»

«لأننا سوف نرد عليه.»

«نحن؟ كيف؟»

«عندما سيمشي قرب الزاوية، سوف يراك بجانبي.»

رفضت بسرعة وهي تحاول التراجع الى الوراء، وقد شعرت ان وجهها سيكشف خوفها:«كلا يا ليو.»

عارضها بنعومة:«نعم.»

تمنعت قائلة وهو يحاول الامساك بها ليرجعها:«كلا يا ليو، فهو لن يهتم بما يراه، وخصوصا انا.»

أصرّ على موقفه:«آه، اجل، سيهتم، سيفعل، الرجال مثل ريان دائما يهتمون، فنفسياتهم مريضة. كنت ضحيته، ويريد الامر ان يبقى كذلك، صدقيني يا حبيبتي، السفلاء امثاله دائما يهتمون. سينجرح كبريائه عندما يرى رجل آخر يريدك وسوف يبدأ بالتساؤل عما فاته. لقد كتب

لك مودعاً، والآن سوف يعاود التفكير في الأمر.»

«آه، كم أراكما متشابهان الى حد بعيد، او هل انني مخطئة؟ انت تعرف كيف سيتصرف.» قالت هذا بغضب، ثم فقدت توازنها عندما امسكها بعنف وجعلها تقف على الرفش.

حدقت بوجهه العنيد، ورجته بيأس:«ليو، ارجوك، فهو لن يهتم، حقاً لن يهتم، على كل، انا لا اريد رؤيته.»

قال بعدم اكتراث:«إذاً اغمضي عينيك.» بدا فظاً غير ليو الذي اعتقدت انها اعتادت عليه، وأطاعته بصورة آلية.

نظرت في عينيه التي بدت فجأة دافئة، حتى انها لم تتوقف لتتساءل لماً فكرة مواجهة ريان من جديد بالكاد ازعجتها. وضعت يديها بسهولة حول عنق ليو وقد شعرت بالاعياء.

«اشعر بالسخافة الى درجة كبيرة.»

استفزها قائلاً:«آه، لقلة ثقتك بي، انني اضمن انه في خلال نصف ثانية كل الافكار بخصوص ريان سوف تطير من رأسك.»

وهذا كان يزعجها بالتحديد. لقد كان من السهل لها بكثير ان تبقى الأفكار المتعلقة بريان موجودة في رأسها، لذا حاولت التمنع من جديد.

«ليو، انه مجرد عرض وليس حقيقي.»

liilas.com

«ماذا تقولين؟ هل قلت أي شيء عن عرض؟»
بدأت بوهن:«انت قلت...»
قاطعها قائلا:«انا اعرف ماذا قلت.»
اخذها الى البيت بعد ذلك، وحدق في وجهها قبل ان يتركها فجأة ويستدير ليذهب الى المطبخ ليعد الشاي.

الفصل الرابع

حدقت هيلاري بفراغ وراء ليو، وحاولت ان تفكر بما حدث، لم يجعلها ريان ابدا تشعر بمثل هذا. تنهدت بعمق ولحقت بليو ببطء كان يقف مديرا ظهرها لها، ويداه تضغطان على طاولة المطبخ، وكان يأخذ انفاسا عميقة.
تحركت وراءه بصمت، لمست ذراعه بسرعة، فأجفل بعنف ولم تكن مستعدة تماما لحركته هذه.
همست:«ليو؟»
عندما استدار إليها حدقت به بيأس وقد صدمت من مظهره. بدا منزعجا كثيرا:«أوه، ليو.»
فتمتم بثقل:«اريدك، لكن لا اريد لعبة طيّعة احركها متى شئت. اكاد اجن، هل تشعرين بالصدمة؟»
انكرت بقولها:«كلا.» واكتشفت لتوها انها بحاجة لرجل مثله تحارب معه، وتتقاتل معه.
ريان لم يجادلها ابدا لم يصرخ في وجهها عندما كانت غير محتملة. فإلى جانب عدائها الدائم مع ليو، لقد جعلها تشعر بالحياة.
«علينا ان نتكلم، هناك اشياء علي شرحها...»
امسك بيدها وتوجه بها الى غرفة الجلوس.

رفعت رأسها لتنظر إليه، ثم قالت:«انت تعرف كل شيء عني ولكن تبدو مترددا كثيرا في التكلم عن نفسك.»

تمتم:«وقت الاعتراف.» بينما كان يرفع يدها. اتسعت عيناه، واستغرق في الضحك عندما رأى حالتهما ثم قال:«ما هذا؟»

حدقت بيديها المتسختين وأظافرها المتسخة، وانفجرت بالضحك. تمتمت:«غير صحية على الاطلاق، ولكنها غلطتك انت، لم يكن عليك ان تكون...»

«حشريا؟»

تابعت تحديقها باستغراب في يديها المتسختين وقالت:«من الافضل ان أذهب لأغسلهما.»

قال بإيجابية:«فيما بعد. إذا اصبت بالعدوى، فيضع دقائق اخرى لن يكون لها أي فرق.»

«حسنا، هيا، اخرج تلك الاسرار الدفينة، وهي نتيجة، بدون شك، لشبابك الضائع.»

استعلم قائلا:«الضائع؟ دعيني اخبرك، لم يكن لدي وقت لأسيء التصرف ابدا. استيقظ في الفجر، اعمل بكد، وأذهب الى الفراش عند الغروب...»

مازحته قائلة:«العمل في المناجم؟»

اجاب:«لا، ابدا، بل في مرعى للأغنام التي لا تقف بانتظام، تنتظر من يهتم بها، تتجول في الحقول

كما تشاء، حيوانات غبية جدا هي الاغنام.»

قالت ضاحكة:«أوه، قلبي يقطر دما.» ثم اضافت:«هل كنت تعتمر قبعة من الفلين؟»

نفى ذلك بقوله:«كلا، لم ارتد يوما قبعة من الفلين. لم كل الاجانب يعتقدون اننا نعتمر مثل هذه القبعات السخيفة؟»

تمتمت قائلة:«بعضهم يفعل ذلك، رأيت صورا. وهل هذا ما تزال تفعل به؟ اوه، كلا.» استدركت بعد ان تذكرت إحدى احاديثهم السابقة:«نسيت، انت تعمل في مجال العقارات.»

«كلا، انا...» وقطع كلامه، وعبس عندما علا صوت بوق سيارة من الخارج.

وقفت لتنظر هيلاري الى الخارج من خلال النافذة. ثم قالت:«هناك سيارة بلون بيج على الطريق، والسائق يقف بجانبها ويتحنى على البوق.»

«هذه سيارة الاجرة، اه لقد نسيت كل شيء عنها، علي الذهاب.»

رافقته من النافذة، وابتسمت له عندما رأته يسرع نحو السائق وتحركت من مكانها فقط عندما صعد الى السيارة.

جلست على المقعد المريح وأخذت تحدق في السقف، مفكرة: هل سيعود؟ لم يقل حقيقة انه سوف يفعل، ولكن ايضا لم يقل انه لن يفعل.

أحست فجأة بشعور وافر من النشاط، وقفت وذهبت لتدير جهاز تحسين المياه لكي تستحم فيما بعد وقررت ان تنظف المنزل. كان الوقت متأخرا لتبدأ بالطلاء، سوف تقوم بذلك غدا، هذا ما قررته.

* * *

كان الوقت قد شارف العاشرة ليلاً، عندما انهت تنظيف المنزل، أخذت حماما وتناولت بعض الطعام، ثم قالت اخيرا بينها وبين نفسها بأن ليو لن يعود. هل هي غبية تماما؟ وأخذت تحدق في الحديقة، وهي تقف عند نافذة المطبخ.

لاحظت التراب، بينما البذور منتشرة كما تركتهم. كان القمر يختفي وراء الغيوم ارتجفت وداهمها شعور عنيف بالوحدة.

الآن هي تفكر بعقلانية اكثر. عادت كل الشكوك القديمة، ووجدت انه من الصعب التصديق انها تتصرف بمثل هذا الشكل الطائش.

قررت اخيرا انه من غير المجدي، والمفيد ايضاً الوقوف عند الباب بانتظار رجل لن يأتي، صعدت الى غرفتها استغرقت بالنوم على الفور، واستيقظت بعد عدة ساعات على صوت عاصفة عنيفة. بينما كان البرق والرعد يعصفان بجنون في الخارج. دفنت هيلاري رأسها تحت الاغطية ولكنها عادت

وأخرجته بندم تستمع الى انهمار المطر الغزير. كان من الصعب ان تتأكد تماما من الصوت الذي تسمعه. لكنها ادركت بعد ذلك انه يأتي من الداخل. فهذا الصوت كان صوت مياه تتساقط محدثة اصواتا تزعج السمع. حدقت في الساعة القريبة منها وتجهمت، كانت الساعة الخامسة صباحا. اسقطت رأسها على الوسادة محاولة تجاهل الصوت. اغمضت عينيها، استمعت الى صوت البرق بعيدا اكثر الآن، وصوت المياه المتساقطة مستمر ولسوء الحظ لم يكن بعيدا ابدا.

دققت السمع، محاولة ان تحدد مكان الصوت تماما، ثم ابعدت الغطاء جانبا، قالت لنفسها: لن يتوقف هذا الصوت من تلقاء نفسه، وإذا تجاهلته، فمن يدري أي نوع من الفوضى ستفاجئها في الصباح.

ارتجفت من البرد القارس، وهي تتوجه الى حيث مفتاح النور. وحدقت باستياء في النقاط اللامعة التي تتساقط فوق طاولة الزينة.

وضعت معطفها المنزلي ورأت الملاحظة التي كانت مشبوكة بعناية على الوسادة. التقطتها بيد مرتجفة وفتحتها ببطء. كانت مدونة على الجهة الخلفية من فاتورة الطلاء، تخيلت فجأة، ليو يبحث بسرعة حوله في الظلام عن شيء يمكنه الكتابة عليه.

ابتسامة واهية ارتسمت على فمها، مقتنعة انها تقول شكرا لك ووداعا، اخذت نفسا عميقا وبدأت تقرأ: «سوف اراك في الصباح وفي المستقبل، اقفلي بابك الخلفي جيدا! مع حبي، ليو.»

حبي؟ استغربت من ذلك، فهي لم تكن اكيدة من اي شيء يتعلق بـ ليو. ولكن لا بد انه يحبها قليلا، اليس كذلك؟ سارت الى طاولة الزينة لتحدق بوجهها في المرآة. انت في السابعة والعشرين، قالت لصورتها في محاولة لتدخل الى رأسها بعض التعقل. من المفترض ان تكون واثقة، وناضجة. وضعت الملاحظة في جيب معطفها، ونزلت السلالم لتبحث عن وعاء.

تثاءبت وهي تحمل الوعاء وتصعد الى غرفتها، ووضعته على طاولة الزينة لتسقط فيه المياه، خلعت معطفها المنزلي وصعدت الى السرير البارد مجددا.

اخذت تفكر بالكلمات التي جاءت في الملاحظة وبنهايتها، مع حبي، ليو.انها لا تعني شيئا على الاطلاق، حاولت ان تقنع نفسها بهذا. كانت مجرد عبارة عادية تقال ولا تعني شيئا، ولكنها، لا تريدها بدون معنى لها. حاولت ان تعود الى النوم الذي بدا بعيدا، واغمضت عينيها، ثم فتحتهما وحدقت في الستارة التي تهتز بفعل الرياح الباردة المنبعثة

من النافذة القديمة، بينما صوت نقاط المياه المزعج حيث كان يتجمع في الوعاء، فلفت رأسها بالوسادة محاولة تجاهل الاصوات، لكنها أزاحت الاغطية بعصبية وقد اقتنعت بأنها لن تنام من جديد، ارتدت معطفها ونزلت الى الاسفل لتحضير فنجان من الشاي ربما يساعدها على الهدوء.

وقفت الى جانب النافذة تراقب المطر، بينما كانت تنتظر الماء ليغلي. كان هطول المطر غزيرا جدا والامطار تسحق الارض الناعمة.

بعد ان انتهت من تحضير الشاي جلست الى طاولة المطبخ لتحتسيه، بقيت في المطبخ حتى بزوغ الفجر. اخذت الامطار تخف تدريجيا، خرجت العصافير من اوكارها ترقزق مرحة.

لم تكن ساذجة لتعتقد انه يحبها، كما ولم تعتقد أنها ايضا تحبه، ربما قليلا، ولكن تلك العينين الرماديتين اللتين باستطاعتهما ان تكونا كالجليد في برودتهما او مليئة بالمرح، جعلتها ترتعد.

كان الفنجان ما زال بين راحتيها، حين شاهدت بزوغ الشمس من وراء التل ويعطي الجمال للأرض الواسعة.

تثاءبت، ووضعت الفنجان الفارغ على الطاولة، وتوسدت رأسها بين ذراعيها ناعسة، تناهى الى مسامعها، اصوات من الخارج مثل صوت خوار

liilas.com

البقر، وعواء كلاب بعيد، وسيارة ترفض ان تدور.
استيقظت مذعورة، غير متوازنة للحظة،حدقت هيلاري غير مصدقة في ساعة المطبخ. كانت تناهز التاسعة. انها ليست بداية مبكرة، وبينما كانت تسرع الى الطابق الاعلى، وبعد ان اغتسلت بسرعة ارتدت سروالا قديما وكنزة وسترة قديمة قبل ان تفرغ الوعاء وتعيده الى طاولة الزينة. كانت قشرة السقف على وشك ان تقع.
صرخت:«هل عليك ان تفعل هذا بي؟» لكن كان هناك نبرة فرح في صوتها، ولمعان في عينيها الجميلة مع ابتسامة.
جلبت السلم من التخشيبة، وأخذت تبحث عن المطرقة. بعد ان رمت الادوات بغير انتظام هنا وهناك، اخيرا توقفت عن البحث.
ربما الكولونيل لديه واحدة وهي لا تعتقد انه سيتضايق إذا ما استعارتها منه.
خرجت من البيت وأسرعت عبر الدرب، شاعرة بالسعادة، وكان من السخافة ان تشعر كذلك. ولكنها سعادة لا تستطيع تجنبها، فهي ستقابل ليو.
لم يكن هناك أي اثر له، او لسيارة الأجرة، وللحظة تزعزعت ثقتها.
ألم يكن مشتاقاً إليها كما هي مشتاقة إليه؟

وذهبت الى الاسطبل مؤنبة نفسها على غبائها. لسوء الحظ، بدا انه في فوضى تماما مثل بيتها. التبن في كل مكان، فتشت على الادوات، اخيرا وجدت ازميل، وقررت انه قد ينفع.
بعد ان عادت الى منزلها، وضعت السلم على الجدار، وجربت ثباته لتتاكد من أنه محكم. وضعت الأزميل في جيبها الخلفي وصعدت، حدقت متفاجئة بالمزراب. لم يبد متفككا ابدا. وهزته لتجرب ثباته، فوجدته متينا تماما، فتشت في كل السطح، الى ان وجدت قطعتين من القرميد متهشمتين.
سألها صوت ناعم من ورائها مباشرة:«هل تحتاجين لأي مساعدة؟»
كادت تقع عن السطح من شدة خوفها وأمسكت بعمود المدفأة لتحافظ على توازنها. نظرت بوهن من فوق كتفها الى ليو وصرخت:«ماذا تحاول ان تفعل؟ تقتلني؟»
اعتذر بحرارة:«عفواً.»
ثم تابع:«لا تبدين جيدة لمثل هذه الأمور إذا كان بإمكاني قول ذلك.»
علقت على كلامه:«كلا، لا يمكنك قول ذلك! هل تعرف شيئا عن السطوح؟»
زم شفتيه مفكراً، وعيناه تلمعان بالضحك، اخيراً اومأ برأسه نافيا.

«كلا، لا اعتقد انك تعرف، إذاً اذهب بلطف وتوقف عن محاولة توقيفي عن المتابعة.»

«كنت احاول المساعدة فقط.»

ثم تابعت عملها وهي تقول: «حسناً، انت لا تعرف فلا تعطلني عن عملي واذهب بلطف.»

بدا وكأنه مسرورا برؤيتها، دون مراوغة، وعندما تابع مراقبتها اعادت تفكيرها بسرعة الى العمل الذي بيدها.

معظم الرجال قد يصرون على القيام بذلك بأنفسهم، وكانت مغتبطة لثقته بمقدرتها. تنهدت بارتياح عندما انتهت وساعدها ليو بالنزول على السلم.

قالت: «شكراً.»

قال وعيناه تبتسمان بدف، لعينيها: «هل قلت صباح الخير؟»

قالت غير قادرة على النظر بعيداً: «لا، صباح الخير.»

قال: «علي ان اذهب مجددا سوف اتغيب لمدة ساعة فقط كما أمل. هل انا مدعو للغداء؟»

مضى مبتعدا وهو يصفر، بابتسامة مستغربة في عينيها، اخذت تراقبه الى ان وصل الى سيارته.

كانت لا تزال تقف هناك عندما مر بسيارته لوحت له بغباء، وقررت انه من الافضل إعادة الازميل قبل ان تنسى امره، والآن، ماذا عليها ان تحضر

للغداء؟ استغربت، كلا، سيبدو الامر مبالغاً فيه إذا كان بشكل احتفالي، إذا، ستعد ما هو متوفر لديها، ستستحم الآن وتغير ملابسها.

بعد ان اعادت الازميل الى مكانه، استدارت لتغادر ولكنها وجدت نفسها وجها لوجه مع شقيقة ليو، انهما لم تتعرفا على بعضهما البعض في الواقع من قبل.

شرحت بوهن: «كنت اعيد الازميل فقط، لقد استعرته قبل الآن.»

قالت الفتاة الاخرى بمرح: «حسناً، لقد ارحتني! اعتقدت انك لصة، ولو كنت كذلك فإنني اعرف تماما من سيلوم شقيقي.» ثم مدت يدها معرفة عن نفسها: «انني جوين.»

«هيلاري.»

قالت جوين ببساطة: «هل تريدين بعض الشاي؟ كنت على وشك تحضيره.»

رفضت بسرعة: «أوه، كلا، اشكرك على أي حال.» لم تكن متأكدة تماما انها جاهزة لمواجهة شقيقة ليو وتابعت: «كنت فقط اعيد الازميل.»

«أوه، هيا، من المؤكد ان لديك بعض الوقت لتناول فنجان شاي.» تكلمت بصراحة مثل شقيقها، وأمسكت ذراع هيلاري في قبضة قوية وبدأتا في السير الى المنزل.

لم تعرف هيلاري كيف يمكنها الخروج من هذه الورطة دون ان تبدو فظة، ونظرت إليها نظرات فأدركت انها اكبر منها بسنتين تقريبا، وفي حين ان ليو داكن البشرة، كانت شقيقته شقراء خضراء العينين. لقد كانت مشاعرها تجاه ليو جديدة لتتحمل اي امتحان صعب.

علقت قائلة:«من المؤكد انك لا ترين شقيقك كثيراً.» وعرفت جيداً ان جوين لا تراه كثيرا، لقد كان دائما في منزلها.

«كلا، لا أراه ولهذا اتيت اليوم، وهذا كان جيداً بالنسبة لي الست كذلك؟ في اللحظة التي وصلت فيها اسرع بالخروج. هل تعرفين اين اذهب؟»

نكرت هيلاري:«كلا.»

قالت جوين مبتسمة، عندما وصلتا الى المطبخ:«لا تقفي هكذا، اجلسي. الشاي لن يتأخر، ولا شقيقي كما ارجو. بصدق، انه يدفعني للجنون.» حسنا، هذا ما يفعله ايضاً بهيلاري. كان من الجيد ان تعرف انها ليست الوحيدة التي تعاني من سلوكه الغريب.

تابعت:«لماذا يتورط بمتاعب الآخرين، هذا ما لن اعرفه ابدا. فقط لأنه يبدو محبوبا، وهذا هو الانطباع الخاطىء الذي ينخدع به عادة الناس، اناس بالكاد يعرفهم يطلبون منه كل انواع الاشياء

الغريبة والرائعة. ثنائي قابلهم حديثاً. نيك، لا تتجرأ بالدخول الى هنا بحذائك المتسخ.» ادارت هيلاري رأسها بسرعة وحدقت رأساً في عيني صبي صغير. بدا في العاشرة من عمره، وشعر احمر كشعر جوين، ووجهه عابس بشكل رهيب.

بدت جوين وكأنها تكرهه كثيرا حين علقت جوين باشمئزاز:«لم اعرف ابدا في حياتي ولدا وسخا الى هذا الحد.»

سألتها هيلاري وهي تمنح الولد ابتسامة:«اهو ابنك؟»

«نعم. لماذا عدت الى هنا، اعتقد انني اخبرتك ان تذهب وتلعب في الخارج.»

اعترض:«انا جائع.»

«انت جائع على الدوام.»

خلع حذاءه المتسخ، وتقدم ليقف الى جانب هيلاري، حياها بسرور:«مرحبا، هل انت التي ستتزوج عمي مات؟»

سألته بغرابة:«عمك مات؟»

«نعم، اوه، حسنا، انا اعتقد إذا كنت لا تعرفين من يكون، فأنت لا تستطيعين الزواج منه.»

ثم سأل والدته:«هل استطيع الذهاب الى القرية؟»

«إذا كان لا بد من ذلك. ولكن لا تتأخر كثيراً، إذا لم يعد مات خلال نصف ساعة سأذهب الى المنزل.»

حمل حذاءه وقال:«حسناً.» ثم خرج
«بصراحة.» تذمرت جوين وهي تجلب الشاي الى الطاولة وجلست:«مات هو الوحيد الذي يستطيع التعامل معه، حتى زوجي لا ينفع، الآن...»
سألتها هيلاري بتردد:«هل مات هو شقيقك؟»
وافقتها جوين:«نعم، طبعاً.» وبدت مرتبكة كما شعرت هيلاري.
شرحت هيلاري ضاحكة:«اوه، انا اسفة، لم أدرك انه لديك اثنين.»
«اثنان؟ إثنان ماذا؟»
«شقيقين.»
عقدت جوين جبينها ثم قالت:«لدي شقيق واحد فقط، مات، اوه.»
صفقت يديها معاً، بدأت بالضحك بمرح ثم تابعت:«ليس لديك أدنى فكرة من يكون مات، أليس كذلك؟»
«لا.»
«أية غبية سوف تعتقدينني، لقد افترضت انك تعرفينه. ولكن ما الذي جعلك تعتقدين انهم اثنان؟ أو لا، لا تخبريني، لقد حضر الى هنا لملاحقة فتاة، بصراحة هذا الرجل بلغ حده.»
حدقت بالفتاة وبوجه مرتبك قالت ببطء:«لكن ليو قال...»

قالت جوين:«ليو؟ ولكن ليو هو مات؟ اه، لم اسمع احدا يناديه بهذا الإسم منذ سنوات! هل هذا هو الاسم الذي اطلعك عليه؟»
وعندما اومأت هيلاري مرتبكة تمتمت جوين مفكرة:«استغرب لماذا.»
هذا ما كانت هيلاري تستغربه بالضبط. هل كان هاربا؟ او هل انه أراد لها اسما خاصا لتدعوه به؟
عقدت جبينها، ونظرت الى الأسفل وبدأت ترسم علامات على الطاولة بأصابعها وهي تحاول فك اللغز. فجأة تذكرت كلمات الولد، تجمدت وعادت تنظر الى الاعلى بذهول، عندها نظرت إليها جوين مبتسمة وكأنها تدرك ماذا هناك.
قالت جوين بلطف:«لن احرجك بإثارة الموضوع، والآن، اين وصلت قبل ان يعود نيك ويقاطعنا؟ اوه، اجل، تلك العائلة في بورت هيدلاند.»
استفهمت هيلاري وقد شدت انتباهها الى ما تقوله جوين:«بورت هيلاند.»
شرحت جوين بنفاد صبر:«نعم، انها في شمالي غربي استراليا، هل تستطيعين تصديق ذلك؟»
فحسبها الواضح في نبرة صوتها عكس انزعاجها المستمر.«في الواقع، لقد طلبا منه الاعتناء بابنتهما الطائشة عندما جاء الى انكلترا. ماذا فعل؟ بدلا من ان يبقى معي كما كان عازما، استأجر هذا

المكان، البعيد أميالاً عن أي مكان، فقط لكي يبقى هذه الفتاة تحت المراقبة والتي كما يبدو قد اوقعت نفسها في كل انواع المتاعب من أجل قطعة أرض...»

قاطعتها هيلاري بشدة:«مهلاً انتظري لحظة، هل تقولي لي ان ليو اقصد مات قد اتى الى هنا لأن هؤلاء الناس في بورت هيلاند قد طلبا منه ذلك؟»

شرحت جوين:«نعم! هل تصدقين ذلك؟ بدلا من ان يبقى مات معي وأنا التي لم اشاهده منذ أشهر وأشهر، إنه انانيٌ.»

وافقتها هيلاري بوهن:«نعم.» وحدقت بعمق في جوين، وتراجع الموضوع في رأسها من جديد. انه مشروعا من المشاريع بالنسبة إليه.

شبكت يديها معا لتوقف ارتجافهما غير قادرة على الجلوس اكثر، ثم ابعدت الكرسي الى الخلف ونهضت.

تمتمت جوين:«أوه، اقلت شيئاً ازعجك؟ انظري انا اسفة إذا كانت صديقة لك او أي شيء من هذا النوع... ربما اخطأت في هذا الأمر.»

نكرت هيلاري قائلة:«اوه، كلا، انا اكيدة انك لم تفعلي، ولكنك ذكرت ارض اي أرض؟»

«أوه، انا اكيدة ان الامر لا علاقة له....»

فكرت هيلاري وهي تتمالك نفسها:«أية ارض؟»

اعترفت جوين:«الأرض التي في القرية، مات يحاول الحصول على اذن بـ....»

ضربت بيدها على الطاولة، وقاطعت كلام جوين تنكر ما تقوله:«كلا!» ولكن ماذا إذا كان الامر حقيقة؟ تابعت تحدق في جوين، وأفكارها في تشوش تام ومعرفة ان اهتمام ليو كان بطلب من ذويها قد نسيته للحظة، حاولت ان تفكر في أي نوع من الاذن يريد ليو الحصول عليه ربما نفس الأذن الذي أراد ريان الحصول عليه.

ألم يسرع ليو وراء ريان؟ ألم يظهر اهتماماً غير عادي بكل التفاصيل عن الكوخ المدمر؟ مما يعني امرا واحدا، ليو وريان مشتركان في الأمر معا.

عدة انفعالات اجتاحتها معا من ارتباكات وألم، من غضب ويأس، امعنت النظر بشقيقة ليو قائلة:«اوه، السافل! الحقير.» وبدون ان تلاحظ وجه جوين المرتعب، استدارت وخرجت، وأغلقت الباب وراءها بعنف. ركضت بقدر ما تستطيع عبر الحقل الموحل، وعبر الجسر المتداعي، وأخيرا انهارت بجانب خط طويل من شجر السنديان حيث الجدول يميل ليحيط بأملاك الكولونيل.

شعرت بالتعب، وانحنت ببطء على جذع شجرة لتجلس، محاولة تخفيف الألم والصدمة اللتين تمنعانها من التفكير بصفاء. كانت ترتجف

بشدة لدرجة ان كل شيء بدا يرتجّ امامها. همست:«اوه، لا، لا، ليس ليو ارجو ان لا يكون ليو.»

فكرت في أي رجل عاقل متزن يستطيع جعل امرأة تحس بأنها مميزة، فهو لا يستهل دموعك. قال انه يعمل في العقارات، ولكنه لم يقل أي نوع منها، وتذكرت كم كان فضولياً. حاولت بانسة ان تسيطر على نفسها بعد ان اصبح مظهرها مزري للغاية. لم يكن اسمه ليو حتى، ولكن، ماذا يهم اسمه؟ لقد كذب ايضا بأمور اخرى كثيرة. لماذا اراد معرفة الكثير عن ريان؟ وأين هو، وماذا يفعل الآن؟ لقد أراد ان يعرف كل كبيرة وصغيرة وقد جعلها تعتقد انه يهتم، فهي إذا اهتمت له فمن يكون افضل منها في اقناع الكولونيل في ان يطلب من اصدقائه في المجلس البلدي بأن يعطو الاذن ليتمّم مخططاته؟ ولكن إذا كان الأمر كذلك فأين إذا موقع ذويها من الأمر؟

وإذا كانوا قد طلبوا منه الحضور، فأين موقع ريان من الأمر؟ ولكن إذا كان قد عرف ريان اولا... وسيد جرين قال ان لريان شريك، ألم يقل ذلك؟ إذا لماذا أخبر جوين انه يعرف ذويها؟

صديقة؟ كلا، هذا يحتاج الى كثيرمن التسليم، إذا لماذا؟ ضغطت بقبضة يدها على جبينها في

محاولة للتفكير. إذا كان يعرف ريان مسبقاً، والذي يبدو انه صحيح، فهل بحث عن ذويها عن سابق قصد وتصميم ليكتشف ماذا يعرفان؟ ليرى إذا ما كانت هناك؟ نعم، هذا منطقي أكثر. لا بد ان ريان افترض انها ذهبت للبقاء عند اسرتها عندما تركها. ولكن لماذا لريان شريك استرالي؟

اختلطت الافكار في رأسها، ووصلت الى خلاصة واحدة، وهي ان التفاصيل ما عادت تهمها الآن، وكل ما يهم هو انها غبية، وقد تغابت مرتين في سنة واحدة.

رجلان مختلفان جداً في الشكل والمضمون، ولكن كلاهما قد اعد لتحطيمها لأجل طموحاته. كان بمثابة طعنة السكين في داخلها. كيف يمكن لها ان تكون بهذه السذاجة؟ ألم تتعلم شيئا؟»

استرجعت بفكرها العام المنصرم، سنة ضائعة، سنة ذهبت سدى من عمرها، ووجدت انه من غير المفهوم لها الآن ان تفهم كيف سمحت بأن يدمرها شخص سيء مثل ريان. وليس فقط هذا. لقد احرجت العالم ذات مرة بحماسها، وضحكت على الحياة، واحتلات بالتعاطف مع هؤلاء الأقل حظا وماذا هي الآن؟ لا شيء سوى شبح هيلاري.

عائلتها ترتاح لجبنها، لا تدعي ريان يدمرك، قال ليو هذا، والآن هذا الأمر ينطبق على ليو نفسه. ان

تكون مغفلة فهذا كاف، ولكن جبانة لتعذب؟! أوه، كلا، حللت الأمر، ليس مرتين بل لعدة مرات، فهي لن تمضي في إضافة سنة اخرى من حياتها!»
وجدت محرمة ورقية في جيبها فكفكفت دموعها، وبعد ذلك اخذت نفسا عميقا ونهضت قائلة:«لن اكون الخاسرة لمرتين، أيها السفلة.»

liilas.com
مجرك

الفصل الخامس

حدقت حواليها في السحب الداكنة في السماء، وفي الافق، ثم رفعت هيلاري رأسها لتسمح لنقاط المطر ان تخفي دموعها بعيدا.
كانت رؤوس الشجر تنحني بفعل الرياح القوية، وبدا كأنها هي ايضا تتنهد. عادت ادراجها الى الجسر، وتوقفت للحظة تحدق في المياه الراكدة، والانعكاس المتماوج لصورتها جعلها تشعر وكأنها ستبكي للابد. اطبقت بيديها على الدرابزين وحاولت ألا تستسلم لليأس الذي مازال يهددها بأن يجتاحها.
كان شعرها مبتلا تماما كما ملابسها.
لفت يديها حولها في محاولة لإعادة بعض الحرارة الى جسدها، وبدأت بالسير الى منزلها. لم تسمع صوت السيارة تعبر الدرب في اتجاهها، وبالكاد لمحتها وهي تمر، لقد كان ذلك فقط عندما صفق باب السيارة بعنف. نظرت وتجمدت، حدقت في وجه ليو المتجهم جدا، وقررت انها غير مستعدة للمواجهة معه بهذه السرعة. نظرت حولها في هلع يائس بينما سألها:«اين كنت؟»
ارادت البكاء، وعندما حاول ان يلمسها، انفجر كل غضبها وألمها الخائب، وهي تقول:«لا تلمسني.»

ومثل قطعة مبللة وموحلة حاولت الافلات من قبضته.
ارجعت ذراعها إلى الوراء وتابعت تقول:«لا تحاول ان تلمسني ابدا من جديد.» وصفعته على وجهه بقدر ما اتيح لها من قوة:«أيها السافل المستهتر، الكاذب! لا تعرف بوت هيدلاند! لا تعرف ريان...»
زأر قائلا:«هيلاري؟»
صرخت بأنفاس منقطعة:«اهدأ؟ ولماذا علي ذلك؟ لقد دخلت الى حياتي بكل اكاذيبك وغطرستك، وطلبت مني ان ألملم شتات نفسي، وبعدها تحاول طعني في الظهر!»
صرخ عندما حاولت هيلاري الافلات منه:«لم أطعنك في الظهر،تبا! ابقي هادئة.»
صرخت بغضب:«وأنا التي اعتقدت ان ريان جرذ، انت لا تملك الذوق والأخلاق السليمة لتستعمل اسمك الحقيقي؟»
قاطعها بلطف:«هيلاري، انت مبتلة تماماً، باردة، غاضبة، وهذا ليس المكان ولا الوقت المناسب، ولكن هناك...»
اجابته بمرارة:«اوه، اجل، عذر ممتاز، لو كنت عرفت اسمك لعرفت انك شريك ريان، أليس كذلك؟ وهذا لم يكن لينفع، هيلاري الغبية والساذجة. لقد كان الأمر بغاية السهولة، ألم يكن؟»
«هيلاري...»

صرخت:«لا تنادني هيلاري ولا تتجرأ على ذلك ابدا، لعبتك الصغيرة انتهت، مشروع فتاة سخيفة زجت بنفسها في مشكلة، ولكن الفتاة السخيفة صدقت الروايات الملفقة التي اخبرها إياها الرجل الاسترالي العظيم، ألم تفعل؟ حسنا؟ لا شيء يقال؟ لا اعذار؟»
كان وجهه كئيباً، افلتها ببطء وقال بهدوء وصوته بدون أي تأثر:«انا اعرف بورت هيدلاند، نعم، اعرف ذويك وشقيقك وزوجته، لقد بقيت عندهم. تكلموا عنك بالطبع فعلوا، ولكن لم يذكروا ابدا انك فتاة سخيفة. عائلتك كانت قلقة عليك، وأنا كنت اتيا لإنكلترا...»
اكملت باستهزاء:«واو، يا لها من صدفة ان تكون بنفس المنطقة من المدينة.»
«نعم، كانت مصادفة، وهي تحصل احياناً، كما تعلمين. قلت انه من دواعي سروري إن اهتم بك او هكذا كنت. ولما لا؟ لقد رأيت صورا لك... فيلم فيديو منزلي، كنت فتاة جميلة، ولما لا اوافق على الاهتمام بك؟ هذه ليست جريمة.»
وافقته بضحكة صغيرة مريرة:«كلا، ليست جريمة، إذا لما انكرتها؟»
شرح مهموما:«لأنك وضعت الكثير من العراقيل، ولو قلت لك ان اهلك طلبوا مني المجيء، هل

تعتقدين انني كنت سأحملك على الكلام عن ريان؟»
«لكن لم يكن هناك من حاجة لتعرف كل شيء عنه.»
«هل عرفت؟ وكيف لي ان اعرف كل شيء عنه؟»
تكسرت كلماتها وهي تقول:«انا لا اعرف، اعرف فقط انك تعرف، وأنك تآمرت معه لتخدعني كيف استطعت ذلك؟ وأنت تعرف ما عانيته؟ لو انك اردت التخطيط للأرض بهذا القدر، لما لم تسأل؟»
قال بلطف جعلها تجفل:«بسبب انني سافل ومستهتر، ولكن هل حقا تصدقين هذه التفاهة؟ حسنا، هل تصدقين ذلك؟»
همست:«نعم.» وبدت كثيراً مثل تلك الكونتيسة المتغطرسة التي اتهمها ذات مرة انها تشبهها، بالرغم من حالة البلل والوحل. استجمعت شتات نفسها، وقالت بوضوح نهائي:«تستطيعان كلاكما ان تفعلا ما يحلو لكما. انا لم أعد اهتم. وليس لدي أي نية في إضاعة اي وقت من حياتي بعد الآن وكل منكما لا يستأهل ذلك.»
عندما تابع التحديق فيها، ضاقت عيناه، وأصبحتا تميلان الى السواد. شعرت هيلاري بلحظة من الهلع، بينما مياه الامطار تتقطر على وجهه. بدا انه منحوت من الخشب، حتى ان اللطف قد ولى عن ملامحه، وأخذت هيلاري خطوة لا إرادية الى

الوراء، وتمكنت من القول بهدوء:«انت ربحت يا لبو وأتمنى من كل قلبي ان تجد في ذلك انتصارا معنويا.»
تابع يراقبها بصمت بينما الرياح العاصفة تتلاعب بشعرها المبلل ولم تعد تستطيع الاحتمال اكثر، ذهبت بعيدا لتسير فوق الحقل المحروث.ولم تعد تهتم إذا ما كان ذلك الاتجاه هو الذي تريد الذهاب إليه.
شدة الغضب جعلتها تخلو من أي مشاعر، وكل ما تريده الآن هو ان تختبيء بعيدا في مكان ما حيث تلتئم جراحها بعيدا عن الأعين.
لم ينكر ذلك، ولو نكر، لربما كان هناك بعض الأمل، ولكنه لم يفعل.
عندما وصلت الى منزلها كان الظلام قد حل، دخلت الى المطبخ وحدقت بفراغ أمامها. كان عليها ان تخلع ثيابها المبللة، وتأخذ حماما دافئا. وتصنع لنفسها شرابا ساخنا، ولكن بدا ذلك انه يحتاج الى كثير من الجهد. شعرت بالبرودة تغمرها، انها مرهقة جدا وباردة جدا لتفكر اكثر. جلست الى الطاولة ومن دون اي فكرة عما ستفعل، استغرقت بالبكاء.
كانت تتألم ببأس، وبكت الى ان لم يعد بإمكانها البكاء، الى ان شعرت بالغثيان وبالصداع الشديد،

وعندما ذهبت الى غرفتها دخلت السرير وهي ترتجف بين الاغطية الباردة.

* * *

لم يكن هناك شمس دافئة لتحيي هيلاري في الصباح التالي عندما استيقظت ولا سماء زرقاء، فقط الغيوم الرمادية الكئيبة نفسها التي اعتادت عليها. وأحداث الامس فاضت دون توقف في خاطرها وامتلأت عيناه بالدموع يائسة.

حدقت بحزن في السحب المتلاحقة عبر السماء. اربعة وعشرون ساعة مضت منذ ان نظرت للمرة الاخيرة الى ذلك المشهد. راقبت البرادي الزرقاء تتحرك بفعل الرياح عبر النوافذ غير المحكمة الاقفال.

سألت بيأس: «آه، يا ليو، لماذا؟»

مسحت دموعها بيديها مثل طفلة، قامت من السرير وبسرعة ارتدت معطفها المنزلي.

بينما كانت تضع يدها الباردة في الجيب، عثرت اصابعها على قصاصة ورق، لكنها لن تقرأ ما فيها، فهي بلا شك ملاحظة من ليو. اخرجتها، وقطعتها الى قطع صغيرة ورمتها في الوعاء الذي كان لا يزال على طاولة الزينة مثل قطعة اثرية بشعة.

ارتجفت دون التمكن من السيطرة على نفسها. نزلت الى الاسفل، غير قادرة على مواجهة فكرة الطعام، صنعت لنفسها بعض الشاي. لقد أرادت ان تهرب بعيدا، وان لا تراه مجددا. ولكن ليس هناك احد لتذهب إليه. كما لا تستطيع تحمل نفقات الفندق، مهما كان رخيصا، لذا كان عليها البقاء في المنزل. ولكن فكرة البقاء بين اربعة جدران كل هذا اليوم وكل يوم الى ان يعود ليو الى استراليا ستدفعها الى الجنون.

تستطيع العودة الى العمل، افترضت، ولكن ان هي فعلت فان كل واحد سوف يعرف لماذا.

اي انسان ذو تفكير سليم يترك اجازته من اجل مصلحة العمل! حسنا إذا، سوف تكتشف نورفولك، قررت اخيرا ، قررت اخيرا، هذا الامر لاسبوع فقط. سبعة ايام، انه ليس بالوقت الطويل، أليس كذلك؟

إذا خرجت باكراً كل صباح وعادت في وقت متأخر في المساء، فستكون فرصة مقابلتها مع ليو نادرة جدا. ومع ذلك فإنه من غير المحتمل ان يبحث عنها.

لو ابدى الخجل لما فعل لهان الامر. ولكنه لم يفعل، فقط غضب بهدوء، فكرت مقطبة الجبين، ولما عليه ان يبدو غاضبا؟ وقررت ان ذلك بسبب

فشل مخططاته، لذا ابعدته بقوة عن افكارها.
بعد ان اغتسلت وارتدت سروالا وحذاء جلدي وسترة صوفية سميكة تذكرت قبل ان تخرج ان تأخذ معها المعطف. صعدت الى سيارتها وانطلقت باتجاه اليرموك.
عندما يكون هناك اشياء كثيرة لتفعلها، أهدافاً لتحقيقها، يمر الوقت سريعا.
عندما لا يكون للمرء سوى قتل الوقت، فإنه يمضي ببطء شديد.
ارادت ان تعود الى البيت في وقت متأخر في المساء في الحادية عشر على الأقل، ولكن ما ان شارفت الساعة على السابعة حتى شعرت بكآبة تجتاحها، اضطرت معها الى العودة.
كانت معظم مناطق نورفولك مهيئة للسياح، وشهر نيسان (ابريل) يبدو حزين، بارد، رطب وخالي.
فتحت الباب الخارجي، علقت المعطف على المشجب، ثم اغلقت الباب واتكأت عليه للحظة شاعرة بالتعب والبرد الشديد.
استطلعت البيت الموحش بعينين كئيبتين، وبدلاً من ان يكون ملاذها كما كان ذات مرة، اصبح الآن سجنا. مضت بحزن الى المطبخ، التقطت الابريق وما لبثت ان اعادته الى مكانه من جديد.
كانت تشعر بالمرض لكثرة تناولها الشاي. اخذت

تتجول في المنزل بيأس، ثم ذهبت الى غرفة عملها، اضاءت النور وحدقت في المقعد والأدوات وقطع الخشب التي بدت مهملة، ميتة، بنفاد صبر وأطفأت النور مجددا. اغلقت الباب وصعدت الدرج مهمومة.
بينما كانت تدفع باب غرفتها صرخت برعب عندما تحركت صورة داكنة وبدت من خلال ظلام الغرفة.
سألها ليو قائلا:«ما بك؟» امسك بيدها وأدخلها الى الغرفة. «هذا انا.»
سألته بمرارة:«وهل هذا من المفترض ان يجعلني اشعر افضل، دع يدي.» وانتفضت تحرّر نفسها من يده، وأضاءت النور متابعة:«ماذا تفعل في غرفة نومي؟»
«ابحث عنك، وماذا يمكن ان افعل غير ذلك.»
«كيف لي ان اعلم؟ وأخرج من هنا.»
قال بمرارة:«كلا، عليّ ان اتكلم معك، تمنيت ان تكوني قد هدأت.»
صرخت:«اهدأ؟ولماذا عليّ ان اهدأ؟» بيأس وغضب اقتربت منه بقصد صفعه ولكنه التقط يدها بسرعة.
قال بوحشية:«كان من الافضل لو انك هاجمت ريان، لأنه الى جانب رأيك الحقير بي، فانا لم افعل أي شيء بقصد اذيتك. كما انني

liilas.com

لم افعل اي شيء يجعلني احتاج لأن اندم.»
صرخت:«إذا لديك الاخلاق الحسنة.» مرت بغضب من امامه وذهبت لتقف الى جانب النافذة وهي تدير له ظهرها.
اخبرها بتجهم:«كلا يا هيلاري، لم افعل، الآن، إذا كنت تحبين ذلك ام لا، سوف نتكلم.»
«لا يوجد لدينا ما نتكلم به.»
«نعم لدينا، مثل وعلى سبيل المثال، كيف من المفترض انني عرفت ريان.»
«من المفترض؟»
«نعم، من المفترض.» تقدم نحوها، والتقط ذراعها وأدارها لتواجهه. صرخت:«لا تلمسني.»
سألها بخبث:«لماذا؟ خائفة من ان تستجيبي؟»
«لقد قلت ان أي رجل ماهر متعقل يستطيع جعل امرأة تشعر بإنها مميزة. حسنا، دعني اخبرك بشيء اخر أية امرأة ماهرة متعقلة تستطيع خداع رجل وتجعله يفكر انه...»
صرخت عندما ضغط على كتفيها وسألها:«يعني؟»
تحذير اختارت هيلاري ان تتجاهله، لماذا عليه ان يقوم بكل شيء بطريقته الخاصة؟ هل يعتقد انه الوحيد القادر على الكذب والخداع؟ واجهته مدافعة وقالت:«يعني انه سوف يضربها.» وتراجعت الى الوراء.

تقدم نحوها مجدداً، ثم فجأة، اصبحت حرة بعد ان دفعها ليو بعيداً بقوة كافية الى النافذة التي ارتجت من جراء اصطدامها بها.
قال بغضب:«والآن اسمعيني، التقيت بذويك بالصدفة اصطدمت طائرتي في ساحتهم الخلفية. اخرجني مايك منها وأخذني الى المنزل. عندما استعدت وعيي وجدت انني قد اصبت بعمودي الفقري وأمرني الطبيب أن ابقى جامداً في مكاني وإلا فإن هناك احتمال أن ابقى مقعداً. هل تستمعين إليّ حقاً؟»
تمتمت:«نعم.» لكنها كانت عن قصد تتجاهل التلميحات في عبارته، عن ذلك الجسد القوي الذي قد يكون في كرسي متحرك.
تابع:«انا بالتأكيد لست بالرجل الصبور، وفكرة الاستلقاء على ظهري لأسابيع جعلتني اشعر وكأنني انتحر ولو لم يكن أهلك... حسنا، لقد كانوا رائعين...»
قاطعته باستهزاء:«حسناً، ربما كانوا كذلك بالنسبة لك، خصوصا إذا كانوا ينوون إرسالك في مهمة تجسسية.»
صرخ قائلا:«اخرسي.» وعندما هدأت فيما ظل وجهها متمرد، تابع بتجهم:«كنت مستلقيا على ظهري في غرفتهم الإضافية، متألما ومجبرا على

البقاء جامداً، أراقب برامج التلفاز الذي قام أهلك اللطفاء بتشغيله بالغرفة. استمعت الى الراديو، والتسجيلات، وشاهدت الافلام، ولم أجد أي اهتمام بأي من ذلك، في محاولة يانسة اعطتني والدتك بعض الافلام المنزلية التي قاموا بتصويرها عبر السنين. راقبت فتاة سمينة في الخامسة من عمرها. راقبتها تنمو لتصبح فتاة قوية وابتساماتها تحاصر العالم، راقبتها تضحك. راقبتها تبكي. راقبتها تنمو لتصبح امرأة واثقة وجميلة تملك نفس التكشيرة. امرأة تحب الحياة. امرأة تقحم نفسها في الصعاب من أجل من تحب. امرأة تواجه العالم من دون ان تبكي خوفا. لذا اردتها لي.»

كانت تريد البكاء، وكانت ترتجف كثيراً الى درجة انها استغربت كيف تستطيع الوقوف.

لقد خشيت ان تصدق كلامه، لذا نظرت إليه وسألته باستهزاء: «انتهيت؟»

اجاب ليو:«كلا يا هيلاري، لم انته، وأنت عليك ان تقفي هناك وتسمعيني الى ان انتهي. لم اكن بحاجة لأي اقناع كي احضر لرؤيتك، لم يلو أحد ذراعي ولم أكن اخطط للقدوم الى انجلترا، ولكنني اردت مقابلتك وجوين كانت مجرد عذر وهي تعيش في نورفولك. عندما اكتشفت ماذا يحدث اقنعت الكولونيل بأن يذهب في عطلة، وبعد ذلك عندما

قابلتك، لم استطع تصديق عيناي. لم تبدي ابداً كالفتاة في الأفلام.»

«هكذا، مثل بون كيشوت، قررت ان تصلح طاحونة الهواء! شكرا جزيلا، يا ليو، ولكن بالكاد اصدق. حسنا، تابع، لا تقف هناك، انا اكيدة ان الباقي رائع ولكن عندما حاولت اكتشاف سبب عدم تمكن ريان من الحصول على إذن التخطيط قررت ان تفعل شيئا بنفسك، وكانت هيلاري الغبية، جاهزة وبانتظار ان تقع بين يديك تستدرجها، وتحصل على الأذن لخططك.»

«لا تكوني سخيفة.»

صرخت:«هذا ليس هراء، انه يكمل بعضه بعضاً.»

قال بهدوء:«نعم انه يكمل بعضه بعضا. وهكذا هو تفسيري. طلبت منك ان تثقي بي يا هيلاري. ثقة كلمة صغيرة تعني الفصل بين السعادة واليأس. انت من الواضح قررت التصديق انني نويت عن سابق تصور وتصميم ان أدمرك، مع علمي المسبق بالأذى الذي تعرضت له.»

سألته بمرارة:«ولم لا؟ هذا فقط ما انتظره من الرجال. ألستم كذلك؟» بما انها مضت في طريقها بحيث انها لن تتراجع، اكملت بسرعة، ومتصنعة الدهشة:«آه، لا تخبرني ان كل هذه الأسئلة عن ريان كانت ببساطة من أجل استدراجه ليعيد المال؟»

بعد وقت قصير من الصمت المتوفر حتى بدا وكأن الهواء نفسه انقطع، قال بثقة كبيرة وبلطف خطير: «نعم.» أخذ ورقة مطوية من جيبه، وناولها إياها: «يبدو انني وقعت في حب وهم. اعتقد ان لديك الشجاعة وأنك شخصية مثيرة، ولامعة، ولكن خسارة واحدة جعلتك محطمة، أليس كذلك، يا هيلاري؟ تلومين أي شخص عدا نفسك. حسنا فليكن كذلك، لقد اكتفيت ولكن دعيني أقول لك شيئا واحدا، شفقتك على نفسك سوف تحطمك بكل تأكيد اكثر مما فعل ريان.» نظر إليها باحتقار ثم استدار ومضى خارجا.

صدمت غير مصدقة، فتحت الورقة المطوية ببطء، وبيدين ترتجفان دون ان تتمكن من السيطرة عليها. واستلزمها وقت لتدرك ما هي.

انه شيك بقيمة المال الذي أخذه منها ريان بالضبط. همست: «آه، كيف؟»

سقطت على جانب السرير، حدقت في الشيك الذي بيدها. انه لم يكذب كان يقول الحقيقة. وهي اتهمته... لكن لم تكن غلطتها كليا.

لو شرح لها في البداية لكنه كذب وتجسس عليها. ولن يغير حقيقة انه بحث عنها عن قصد لأن ذويها طلبوا منه ذلك. ولكن كيف استطاع استرجاع المال من ريان؟ لم يكن ريان ليفعل ذلك بمحض إرادته.

هي تعرف ذلك. بينما كانت تمرر يدها بإرهاق على جبينها، حدقت في الشيك الى ان اصبحت الكلمات غير واضحة امام عينيها، فكل كلمة رشقته بها وكل إهانة وجهتها له بدت وكأنها تتلاشى من فكرها.

احتاجت بيأس لأن تبرر تصرفاتها، وان تقلل من سلوكها، فكرت بكل ذلك من جديد منذ البداية إلى ان جعلت الأمر أقل اهمية عما كان عليه من قبل.

تنهدت بعمق وقد ادركت بأن لا خيار لها، ليس إذا ما أرادت بأي وسيلة ان تجعل الأمور صحيحة.

وقفت بتثاقل مفكرة كم كان غاضبا حين غادر، ووضعت الشيك بجانب الوعاء، ثم نزلت الى اسفل غير مهتمة بالوقت، ذهبت الى الباب الخارجي.

خرجت وسارت عبر الدرب في الظلمة الدامسة، دفعت الباب الخلفي لمنزل الكولونيل، وعندما شاهدت الضوء الخافت الآتي من الردهة سارت في ذلك الاتجاه.

كان ليو يقف الى جانب خزانة في الزاوية، وظهره لها، ولكن هذا لم يمنعه من ان يشعر بها.

قال بيأس: «اذهبي بعيدا، يا هيلاري.»

«جئت لأعتذر على ما بدر مني ولأشكرك على الشيك.»

«حسنا لقد شكرتني، وداعا الآن.» وسار ناحية المقعد ورمى بنفسه عليه.

حدقت فيه قائلة: «لو لم تكذب علي...»

انفجر قائلاً:«آه، ماذا كان عليّ ان افعل؟ ان آتي وأقرع بابك لأخبرك بأن والدتك قلقة عليك؟ هل من الممكن ان تكتبي وتخبريها بما يحدث؟»

تمتمت بصوت منخفض:«حسناً، كان يمكن ان تكون صادقاً اكثر.»

«آه، صادقاً أليس كذلك؟ هل كان من الصدق ان تكذبي على أهلك؟ تؤذيهم؟ هل كان من الصدق ان تلعبي دوراً مأساوياً، وتدفعي كل واحد الى الجنون بشفقتك على نفسك؟»

«لم تكن شفقة على النفس.»

سألها بغضب:«وماذا كان غير ذلك إذاً؟»

«لقد كنت مجروحة، تباً.»

«هكذا العديد من الناس، انها حقيقة الحياة، انت في السابعة والعشرين وليس في السابعة! الحياة مليئة بالصدمات، وهي ليست قصة خرافية.»

هتفت:«لم أقل ذلك ابداً.» ونسيت تماماً انه من الافضل ان تسترضيه. سألته:«وماذا كان عليّ ان افعل؟ فقط اتجاهل الأمر؟ وأتظاهر بأنه لم يحصل ابداً؟ هل من الخطأ طلب بعض التعاطف؟»

سألها باستغراب:«تعاطف؟ لمَ تريدين التعاطف، كل ما كنت تحتاجين إليه بعض التغيير.»

ترددت قبل ان تقول بغضب شديد:«انت فاسد، أناني ومنافق، انا لم اسألك ان تأتي وتتجسس علي...»

قاطعها:«كلا، والدتك فعلت، ولماذا؟ لأن ابنتها الغالية كانت بغاية الانانية، ومنغمسة في يأسها لتهتم بالآخرين، تأذوا ايضاً، كيف باعتقادك شعروا عندما كانت عزيزتهم هيلاري مشغولة جداً ولا تستطيع الذهاب الى حفلة زفاف شقيقها؟»

«لكنني شرحت...»

قاطعها بعدم شفقة وهو يحاول النهوض:«شرحت؟» عبر الغرفة، ونظر إليها بوجه قاس وغاضب:«أوه، نعم يا هيلاري، شرحت، وبطريقة جعلتهم يعتقدون انهم لا يستطيعون ازعاجك.»

«كلا.»

همس:«بلى، لأنك تمضين الوقت مع عزيزك ولا تريدين الإزعاج.»

سألته وصوتها ينضح بالألم:«كلا، كيف استطيع ان اشرح انني لا أملك المال لأذهب؟ وان الرجل الذي حذروني منه أخذ مالي...»

«ولما لا تستطيعين؟ ألا تعتقدين انه كان من الافضل اخبارهم بالحقيقة بدلاً من جعلهم يصدقون انك اصبحت أنانية جداً لتهتمي بهم؟»

همست بيأس:«ولكن هذا ليس حقيقي.»

قال بلطف بالغ:«كلا، ولكنهم لم يعرفوا ذلك.»

نظرت إليه بتعاسة وسألته بيأس:«قلت انك تريدني، كيف ذلك وأنت تعتقد انني أنانية بهذا الشكل؟»

liilas.com
تجركو

قال باشمئزاز: «أوه، اكبري، حتى لو صدقت الاسوأ، فأنت لا زلت تحتاجين الى أحد ما. لا تستطيعين التغاضي عن مشاعرك بسبب رأسك العنيد الذي يقول لك بأنك لا شيء.»

سألته بهدوء، وصوتها متهدج: «وهل هذا ما أنا عليه؟ لا شيء؟»

استنكر بحزن واستدار مبتعداً: «كلا، إذهبي الى المنزل، يا هيلاري.»

لكنها لم تتحرك بل بقيت جامدة مكانها لأنها بحاجة يائسة لأن تعرف شعوره فسألته: «وبالنسبة للحب؟»

أدار رأسه فبدت عيناه داكنتين أكثر من أي وقت مضى، سألها بوضوح: «ماذا تعتقدين؟»

اعترفت قائلة: «لا أعرف.» في تلك اللحظة لم تفعل شيئاً ولم تستطع ان تستنتج أي سبب.

«إذا اقترح ان تذهبي وتفكري بالأمر.» وأدار ظهره مبتعداً ليحدق في النار.

بنظرة اخيرة نحوه، استدارت وخرجت من المنزل، متأملة اكثر، منذهلة ومرتبكة اكثر مما توقعت انها يمكن ان تكون عليه منذ وقت قصير، ومشت الى الكوخ المظلم حيث دخلته وصعدت الى غرفتها.

الفصل السادس

الاجهاد الجسدي والفكري جعلا من هيلاري تنام بعمق، كان الوقت قد تجاوز العاشرة صباحا عندما فتحت عيناها اخيراً، متوترة وباردة، وأخذت احداث الأمس تتسارع امام عينيها. فكري بالأمر قال لها، ولكن بخصوص ماذا؟ أزاحت الاغطية بنفاد صبر، وأسرعت الى الحمام لتغتسل بالماء الساخن.

لم تعرف حتى كيف ستتحمل نفقات فاتورة الكهرباء، ولا أي فاتورة اخرى. هذه الأفكار لم تجعلها تشعر بأي تحسن.

فكرت بكلماته، وأخذتها بعين الاعتبار، مما زادها ألما. حاولت ان تبرر سلوكها الذي بدا الآن وكأنه لا يحتمل أي تبرير. لو أحبها، او بدأ يحبها وهذا أمر لا تزال تجده مستحيلا، فإن اتهاماته قد قتلت ذلك الشعور بلا شك.

مع ذلك، لم تكن غلطتها كلياً. ألم يكن مذنباً هو ايضاً؟ او هل اصبحت وجلة الى درجة انها تشك به وبأي شخص آخر؟

لم تكن قادرة على الاستقرار، وأخذت تتجول في المنزل، تلتقط اشياء، ثم لا تلبث ان تعيدها مكانها،

من دون أي فكرة واضحة عما ينبغي ان تفعله، ولكنها لم ترد ان يعود الى استراليا وهو يفكر في السوء عنها، أرادت ان تجعل كل شيء على ما يرام. ولكن كيف؟

توقفت أمام المرآة في غرفة الجلوس، انها المرآة التي دفعها لتحدق فيها، وهالها ما رأت، لقد بدت مريعة، عيناها كئيبتين، ظلال داكنة حولهما، ووجهها شاحب وشعرها لا حيوية فيه. ما هذه الفوضى؟ بدت وكأنها في الخمسين من عمرها.

إذا ما ذهبت لرؤيته الآن فمن الممكن ان مظهرها سوف يؤثر سلبا على مشاعره من المحتمل انه شاكر الآن لأنه تمكن من الفرار بسرعة. وهي نفسها لم تكن متأكدة من مشاعرها تجاهه. لكنه يعجبها.

ناجت على والدتها على هذه الفوضى التي اقحمت نفسها فيها، وكل ذلك بسبب كبريائها السخيف وعزمها على ان تلطم على خدها اولا قبل ان يتمكن الآخرين من معرفة ما بها، وهل والدتها حقا تعتقد انها اصبحت انانية، ومايك، وشقيقها؟

حدقت بنفسها طويلا وشعرت فجأة برغبة عظيمة لأن تسمع اصواتهم من جديد، وان تقوم بالعمل الصحيح، هذا من دون ان تتوقف لأن تفكر بالأمر اكثر. صعدت الى غرفتها بسرعة لتحضر حقيبة يدها. كانت بمنتصف الطريق، خارج باب

المنزل عندما تذكرت الفارق الزمني بين انكلترا واستراليا.

تتقدم الساعة في استراليا بحوالي العشر ساعات من توقيت انكلترا، وإذا اتصلت بهم الآن فإن الوقت يكون في منتصف الليل.

خاب أملها، واستدارت لتعود ادراجها. ولكن فكرة البقاء ما بين اربعة جدران لبضع ساعات جعلتها تشعر وكأنها تنتحر فتنهدت بعمق وأغلقت الباب. قررت ان تذهب في نزهة، ربما بعض الهواء المنعش سيجعلها تشعر بالتحسن فتنجلي افكارها.

سواء كانت بكامل ادراكها او لا، فقد وجدت نفسها بجانب الأرض حيث كان منزلها الذي اشترته مع ريان ذات يوم.

منظر كئيب ومحزن يمكن ان يتسبب بالذبحة القلبية، لكنها وجدت الآن ان المنظر لا يستطيع ان يؤذيها ابدا. هناك بافطة كتب عليها كلمة مباع، وقفت تحدق للحظة وكأنها قد تجد الحل السريع لكل مشاكلها.

قال فرانك جرين من ورائها: «اخبار رائعة، أليس كذلك؟»

ابتسمت قائلة: «نعم.»

تابع: «من المحزن اننا لم نفكر بذلك بأنفسنا، من دون شك فكر ليو في ظرف خمسة دقائق بتلك

الخطة. وأنا ادعو نفسي رجل اعمال! أوه، حسناً، من الإفضل ان اعود الى المتجر وإلا سأجد طابوراً من الزبائن ينتظرني.» ثم ربت على كتفها وأضاف: «انا حقا ممتن لك، يا آنسة، وهكذا سوف يكون الكولونيل.» حياها بيده وابتعد ناحية متجره، ما الذي لم يفكروا به بعد؟ تساءلت متعجبة. أي خطة؟ لقد باعوا الأرض، ألم يفعلوا ذلك؟ وحدقت بفراغ في الحجارة الصغيرة التي كانت كل ما بقي من المنزل.

حاولت ان تتذكر نفس الكلمات التي قالها ليو عندما سلمها الشيك او التي قالتها هي. لقد سألته باستهزاء إذا قام بخداع ريان ليجعله يعيد المال، وقال نعم، هل كان هذا ما قصده السيد جرين؟

مالت على بقايا حائط من طوب، وحاولت ان تستعيد كل ما حدث منذ ان جاء ليو. تصرفه، والأشياء التي قالها، تحاول بعد معرفة معلوماته الجديدة ان تجد خطأ في ما قاله، واستغربت بعد ذلك لماذا تهتم. هي تعرف من صميم قلبها بأنه قال الحقيقة، وغلطتها انها لا تثق بنفسها وبه.

عادت الى المنزل وهي تفكر انه لا حاجة لها لأن تبقى في انكلترا الآن، ويعود الفضل الى ليو. بإمكانها الآن ان تتحمل نفقات العودة الى استراليا.

وقفت تفكر في المطبخ الصغير، لكنها استدارت فجأة

وخرجت من جديد. سوف تتصل بالوكالة لتبلغهم بما هي عازمة عليه، وما ان تصبح حرة سوف تسافر الى اهلها. لم ترد البقاء هنا، ليس من دون ليو، اعترفت اخيراً. وعندما ترددت امام الهاتف واجهت هيلاري مشاعرها، انها تحبه، ليس مثل حبها لريان، بل مختلف. وإذا ذهبت الى استراليا، الن تكون هناك أي فرصة ليتقابلا؟ فتحت باب غرفة الهاتف وتناولت السماعة لتطلب رقم مكتبها، ثم تكلمت بسرعة وحماس مع مديرها.

عندما اعادت السماعة الى مكانها شعرت بأن عينيها تمتلأن بالدموع. لم تكن تستحق عطفهم وتمنياتهم الطيبة، فبالكاد كانت صديقة مرحة مؤخراً. ولم تكن حتى بحاجة لأن تبلغهم، فبإمكانها ان تذهب في أي وقت تفضله وتجمع اغراضها الشخصية. احست بشعور عميق بالندم لكونها خذلتهم بشأن رحلة روما وأثينا، ولكن حتى ذلك تجاوزوه، وأخبروها بأن لا تقلق.

سارت ببطء عائدة الى المنزل بعد ان اغلق باب غرفة الهاتف، كل ما بقي لها الآن هو ان تنتظر الوقت الملائم للاتصال بوالدتها.

في العاشرة مساءً من تلك الليلة، سارت في ذلك الدرب مجدداً الى غرفة الهاتف وبحوزتها بعض النقود المعدنية ثم طلبت الرقم ببطء.

اجهشوا بالبكاء اكثر مما تكلموا، اعتذروا كثيراً. وكان عليها بعد ذلك ان تحيي مايك، ووالدتها مرة اخرى، بفرح ودموع ووعد بأنها ستعود إليهم.

نعم، قريبا جدا، سوف تتصل الاسبوع القادم، نعم لديها المال الكافي للسفر، سوف تشرح كل شيء عندما يلتقون. لقد قالت لها انها لم تعد ترى ريان لكن احدا لم يذكر ليو.

احاطت نفسها بذراعيها، ووقفت في غرفة الهاتف لوقت طويل بعد ان اعادت السماعة وتساءلت لما لم تتصل بوالدتها من قبل، لقد جرى كل شيء بسهولة تامة، سارت ببطء الى المنزل، ويديها في جيبي سترتها، سوف تراهم قريبا ولكن عليها اولا في الصباح، وقبل ان تحجز لرحلتها، وتجمع اغراضها، ان ترى ليو، وتحاول ان تجعله يفهم، وتطلب منه السماح، بقيت مستيقظة لوقت طويل تلك الليلة، تستعيد الحوار الذي اجرته مع والدتها، وتحاول ان تفكر بما ستقول لـ ليو، حتى انها حفظت حوارات كثيرة ومختلفة حتى ظنت في النهاية انها سوف تجن. ماذا تقول لرجل يعتقد بأنها لا شيء؟ كيف تستطيع نسيان ذلك عندما تتذكر تعليقاته الدامية التي جعلت عينيها مليئتين بالدموع؟

* * *

استيقظت في الصباح التالي وارتدت معطفها المنزلي

ونزلت الى المطبخ لتحضر الشاي. توقفت وقد شعرت بالصدمة لدى رويتها ريان جالسا الى الطاولة. حياها بلطف قائلا: «مرحبا يا هيلاري.»

الابتسامة التي منحها إياها كانت رائعة، ولكنها الآن اصبحت قادرة على فهم الهدف من ورائها، مزيفة كليا وخالية من الدفء. الابتسامات تأتي من القلب. حدقت فيه وهي تقيّمه كإنسان بينما تساءلت كيف يمكن ان تكون غبية الى هذا الحد. قالت بوضوح: «إذهب بعيدا يا ريان.» واستدارت مبتعدة عنه. ملأت الإبريق بالماء ثم وضعته على الموقد.

قال ملمحاً باستغراب: «تبدين في حالة يرثى لها.»

رفضت ان تجر في نقاش معه، قالت بحدة: «فقط قل ما عندك وارحل.»

«حسنا جدا، أتيت لأقول انني آسف. اعرف انني تأخرت، ولكن لهذا اتيت ولأتأكد من حصولك على الشيك.»

سألته غير مصدقة: «آسف؟ هل حقاً تريدني ان اصدق ذلك، وكأنك كنت لطيفا معي مهتم ولم تسبّب لي بأي لحظة حزن؟ وهل تتوقع مني ان اصدق ان إعادة الشيك كانت فكرتك؟ هيا يا ريان قد أكون ساذجة، مع اني كنت كذلك ذات مرة.»

اجابها بعدم اكتراث: «كلا؟ حسنا، كما تريدين.» ثم

تابع بخبث:«تطيرين قليلاً في العالي، ألست كذلك ألا تخشين السقوط على وجهك مباشرة؟»

سألته:«ماذا تعني؟»

«فيرلاندر يا عزيزتي هيلاري، فيرلاند.»

سألته باستغراب:«من؟»

«أوه، هيا، لا تتغابي علي، مات فيرلاند الرجل الثري.»

استعملت قائلة:«ليو؟»

«ليو؟ ومن يكون ليو هذا؟»

تذكرت نقاشها المرير مع جوين، فقالت:«مات هو ليو، عنيت انني لم اكن اعرف ان اسمه فيرلاند.»

«أوه.» وكان لا يزال يحدق فيها بتمعن، ثم انفجر فجأة بالضحك:«انت لا تعرفين من هو؟»

قالت بسرعة:«بالنسبة لتعليقاتك، لا، ولا أريد منك أي توضيح.» لقد ادخلت نفسها بكل انواع المتاعب بسبب استماعها لآراء الآخرين، ولا تريد ان ترتكب نفس الخطأ من جديد. ثم تابعت:«وإذا جئت لتحاول افتعال المتاعب، يا ريان فلا تزعج نفسك.»

سألها بلطف:«استحق ذلك منك.»

حدقت فيه هيلاري باستغراب، فأصر قائلاً:«ولكنني آسف.»

بدا آسفاً الى درجة انها كانت بخطر من تصديقه، الى ان استدركت بعقلانية، وبازدراء شديد، استدارت مبتعدة لتعد الشاي وقالت:«اليوم الذي

ستشعر فيه بالندم على افعالك سيكون اليوم الذي لن يمر في مفكرتك.»

«لقد كان يجمعنا شيء جيد ذات مرة...»

صححت كلامه بهدوء:«اعتقدت انه كان يجمعنا شيء، ولكن عندها حطم شخص ثقتي بنفسي وقدرتي على منح الثقة للآخرين، عندما انظر إليك الآن، لا استطيع ان اعرف كيف استطعت حقاً ان افكر بأنني أحب شخصاً سطحي وأناني مثلك الى هذا الحد.»

كان هذا صحيحاً، فقد قلقت ذات مرة من انها عندما ستراه مجدداً كل مشاعرها القديمة يمكن ان تعود إليها، ولكنها لم تشعر بشيء. انحنت على ظهر الكرسي وسألته:«لماذا كتبت وأخبرتني بأنك لم تحبني ابداً؟ لقد كان هذا مؤذياً جداً، حتى لك.»

شرح ببساطة:«لأنني اردتك ان تكرهينني، اعتقدت انه من الاسهل لك ذلك.»

قالت:«أوه، وفعلت ذلك، ولكن إذا كانت هذه نيتك، وهذا ما أشك فيه، ألا تعتقد انه لكان من الافضل لو تركتني مع بعض الأوهام؟»

«ربما، انا لم اقصد اذيتك، وأنت تعرفين.»

نظرت إليه بازدراء ثم استدارت مبتعدة لتأتي بفنجان وصحن من الخزانة قائلة:«ارحل يا ريان، ليس لدينا أي شيء أكثر لنناقشه.»

liilas.com

وافقها:«حسناً.»
تفاجأت من موافقته بهذه السهولة، وحدقت فيه متشككة.
استخلص وهو ينهض ليدنو منها:«فقط اخبريني أين فيرلاندر؟»
«لماذا؟»
«لأنه يا عزيزتي هيلاري، يدين لي ببعض المال.»
«يدين لك ببعض...» وعادت كل الشكوك القديمة والمزعجة من جديد، لكنها تجاهلتها بسرعة وسألته:«ولماذا يدين لك بالمال؟»
قررت هذه المرة ان تستوضح الأمور وتسأل، وان لا تفترض على مزاجها.
جاء تعبيره غامضا، حدق فيها لثوانٍ طويلة ثم قال:«هل اخذت الشيك أم لا؟»
«اخذته.»
«إذا هذا هو المال الذي يدينه لي.»
استنتجت:«آه، دفعت لليو، وليو دفع لي...»
قال مشفقا:«لا تكوني غبية! اشترى فيرلاندر الأرض مني بسعر بخس، وبعد ذلك باعها...»
فهمت كل شيء وقالت ضاحكة:«ثم باعها بسعر خيالي.»
والآن كيف تمكن ليو من ذلك؟ استمتعت من سخرية هذا الأمر، وسرّت بالفعل لاكتشافها ان

ريان لم يستفد بشيء، تابعت بنعومة:«دعني أذكرك يا ريان، لقد كان مالي قبل كل شيء، وليس مالك؟ والآن إرحل، وإذا كنت تفكر بأن تتعامل مع ليو بالعنف، فأنسى الامر. سوف يقطعك إربا.»
«فقط اخبريني أين هو؟»
«لا اعرف، وحتى لو عرفت فلن اخبرك.» ثم تجاهلته، لتضيف الحليب والسكر والشاي.
عندها قال:«حسنا، اتوقع ان أي شخص في القرية سيفعل...»
عندما قطع كلامه فجأة، رمقته بفضول وأخذتها المفاجأة كليا عندما حاول ان يجذبها إليه، فدفعته بقسوة، وصاحت به:«لم يكن لك مسليا جدا يا ريان.»
سألها بخبث:«لا اقارن بليو؟ اهذا ما تحاولين قوله؟ وهو لا يرغب بالزواج منك اكثر مني.» ابتسم ساخرا وفتح الباب الخلفي وخرج منه.
اقفلته بعنف، وتعبير الاشمئزاز على وجهها، سكبت هيلاري الشاي في الفنجان وجلبته الى الطاولة وجلست تحتضنه بين أناملها.
من قال أي شيء عن الزواج؟ مثل هذه الفكرة لم تراودها ابدا، ولكن ليو ثري؟ كم من تلك العبارة الصغيرة صحيح، وكم بالغ ريان؟ لا يبدو عليه الثراء، وباستطاعته الفوز بقلوب الاستراليات. ولكن ثري؟

نسيت الشاي، وحدقت بفراغ عبر النافذة. فكري بالأمر.

أشار إليها ليو عندما سألته عن الحب.

همست:«فيرلاندر، مات فيرلاندر.» تذكرت الشيك، وصعدت الى الطابق العلوي ونظرت الى التوقيع على الشيك، م. هـ. فيرلاندر. الى ماذا يرمز حرف هـ هاري؟ هوراس؟ هيبوقراطمس؟

بابتسامة صغيرة، ملست على الورقة وقد استنتجت انها من ريان، ولكنها لم تكن بالطبع، ولو انها فكرت بعقلانية منذ البداية لعرفت انه من غير المعقول ان تكون منه ومن غير الممكن ان يتخلى عن ماله بإرادته، لكن هذا ما فعله بالتحديد. ولكن كيف تمكن ليو من اقناعه؟ لا بد ان ليو تكبد العديد من الصعاب من اجلها. لماذا؟ بالطبع لا يمكن ان يكون ذلك بسبب فيلم منزلي.

وحذرت نفسها بأن لا تبدأ بالاستنتاجات حسب آرائها، ولكن هذه المرة لن تفقد السيطرة على نفسها، سوف يتكلمان بعقلانية.

ارتدت فستانا صوفيا ازرق اللون يصل الى حدود حذاءها. سرّحت شعرها ووضعت بعض الزينة على وجهها، انه امر لم تفعله منذ مدة طويلة. ووضعت الشال عليها والشيك في حقيبتها. بعد ان تأكدت من ذهاب ريان، لأنها لم ترد ان يلحق بها، مشت

على الدرب، حذرة من ان لا تقع على الأرض الموحلة.

بدا وكأنها تحتاج الى الكثير من الشجاعة لكي تتمكن من قرع الباب والدخول. عندما لم تتلق الجواب، فتحت الباب الخلفي، كان ليو يقف أمام الموقد يدير المقلاة بمهارة فائقة ورائحة اللحمة المقلية اسالت لعاب هيلاري. كان يرتدي مريلة تحيط بخصره لتحمي ثيابه من بقع الدهون. كان وجهه يبدو في حالة تأمل ووقفت هيلاري بهدوء، تتفحصه لعدة ثوان. كيف لها ان لا تعرف ان كانت تحبه أم لا؟ ولم تعرف ذلك حتى امس. كانت تعرف انه يعجبها، وتستمتع برفقته، ومرحه، ولطفه، إذا لماذا لم تعترف انها تحبه؟ ولكن ما جدوى الاعتراف؟ بالتأكيد لا يبدو انه يشعر بالشيء نفسه، كما لا يبدو من نوع الرجال الذين يسامحون وينسون بسرعة.

احدثت ضجة خفيفة عندما اغلقت الباب جعلته يدير رأسه.

نظر إليها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها. ومن ثم حوّل انتباهه الى الموقد، وكانت هيلاري على وشك ان تستدير وتخرج من جديد.

عندما استدارت بتردّد صرخ ليو بنفاد صبر:«إما ان تدخلي او تخرجي.» ثم ما لبث ان تابع بلطف

اكثر:«هناك قهوة في الابريق إذا كنت تريدين.»
همست:«شكرا لك.» وضعت حقيبتها على الطاولة، وأخذت تبحث عن فنجان.
قال:«الفناجين في الخزانة فوق رأسك.»
حاولت ان تصل الى فنجان، لمست يدها يده بالصدفة. انتفضت، فقال لها:«انا لا أوذي.»
وافقته بيأس:«لا.» التقطت الفنجان بسرعة وحاولت الوصول الى الابريق، ولكن في تلك اللحظة امسك بمعصمها بقوة.
«ما هذا هيلاري، الابريق شديد السخونة استعملي الفوطة! ألا تملكين العقل؟»
همست بينما اغرورقت عيناها بالدموع وقالت:«على ما يبدو، لا.»
سكبت القهوة بيد مرتجفة، وأضافت الحليب والسكر، ثم ذهبت لتجلس الى الطاولة.
سألها فجأة:«هل تريدين أي شيء تأكلينه؟»
«كلا شكرا لك.» ان أية شهية كانت قد احست بها للطعام قد ذهبت كليا الآن.
عاد الى عمله وندمت على رفضها القط، فاية محادثة حتى لو كانت عن الطعام أفضل من هذا السكوت المطبق.
حدقت بظهره، محاولة ان تستعيد الصورة المحببة عنه، والعطف، لكنها فشلت... المشهد الذي رسمته

في ذهنها قبل ان تأتي عن كيفية اعتذارها له بلطف، وشكره، بينما ليو يبتسم بلطف، لا وجود له في الحقيقة ابدا. وكأنه لم يبتسم في حياته قط.
اعتذرت قائلة:«انا آسفة.» وبدا صوتها عاليا في المطبخ الساكن، وتمنت لو انها بقيت صامتة.
«عن ماذا؟»
«لأنني كنت قاسية و...»
«أوه، لم تكوني قاسية يا هيلاري بل كنت مهينة.»
وافقته بهدوء:«إذا مهينة.» مصممة على ان لا تفقد اعصابها، بالإضافة الى أنه ما بقي على هذه الوتيرة فان فرصة بقائها هادئة تذهب سدى.
اخذت نفسا عميقا وتابعت:«وأتيت لأشكرك ايضاً، لإخباري عن وضع أهلي، لقد اتصلت بهم.» ولاذت بالصمت، رشفت القهوة التي لم تعد ترغب بها، ولم تنظر الى أعلى إلا عندما جاء للجلوس قبالتها، ووضع صحن كبير من البيض واللحم امامه. بدا غير مكترث بوجودها كليا حتى انه لم ينظر إليها ابدا.
قالت بتردد:«جاء ريان لرؤيتي.»
«اعرف، مع انني غير متأكد انه يكترث لملابسك هذه.»
شرحت له قائلة:«لم أرتد هذه الملابس لأجله، لكن ماذا تعني بأنك تعرف؟»

نظر إليها قائلاً:«اتيت لأراك باكراً. اعتقدت انني ربما كنت قاسيا قليلا أمس.»
لكنه الآن ألا يعتقد انه يتصرف بقساوة على الاطلاق؟ لماذا؟ ما الذي جعله يتغيّر، هل لأنه عرف ان ريان كان في منزلها؟ او... او شيء مثل ان حاول عناقها، لا بد انه فعل، وفسر الامر على طريقته:«رأيت ريان يحاول عناقي، أليس كذلك؟»
«هل فعل؟»
وافقته مفكرة:«نعم، لقد حاول ذلك لأنه راك.»
لا يستطيع سوى ان يجعل الآخرين كبش محرقة. خصوصا إذاكانت هي، شرحت بهدوء:«عندما راك قام بمحاولته.»
وافقها بعدم اكتراث:«وهذا ما اعتقده ايضاً.» ثم نهض من مكانه، وأخذ صحنه الى المغسلة وسكب لنفسه القهوة.
«ولكنك لا تزال تعتقد أنه كان هناك بدعوة مني؟ وعقلك الصغير اوحى إليك بأنني ارتديت هذه الملابس لأجله، أليس كذلك؟»
«ما تفعلينه او لا تفعلينه لا يعنيني...»
قاطعته:«لا بالطبع. ولكنك تبدو وكأنك تتهمني بنفس الامور التي كنت اتهمك بها... او على الاقل اسالك عنها. انت عادة لست متشككا هكذا.» في الواقع لم تستطع مقاومة استفزازه.

سألها بنعومة:«متشكك؟» كان تعبير وجهه غامضاً، ولكن التعبير في عينيه كان مصمما مما جعل نبضها يتسارع.
«بدوت ذات مرة وكأنك ماهر الى درجة تستطيع ان تنسيني ريان، هل تعتقد ان ريان ماهر كفاية ليحملني على نسيانك؟»
ضاقت عيناه وضع فنجانه على الطاولة، ثم نهض ليسير باتجاهها قائلا:«وهل هو كذلك؟»
اومأت برأسها نافية.
قال بلطف:«لا. والآن إذهبي الى غرفة الجلوس حيث انها مريحة اكثر.»
اطاعته وذهبت الى الغرفة الاخرى، شاعرة بالعصبية، جلست على حافة المقعد، وعيناها مثبتتان على الباب.
عندما دخل، حاملا فنجاني القهوة، جاء ليقف امامها. ناولها احد الفنجانين، ووجهه لا يحيد عن وجهها. ارتشف بعضا من القهوة وقال:«ماذا تريدين بالضبط يا هيلاري؟»
قالت بغباء:«ماذا؟»
«نعم، ماذا تتوقعين ان يحدث الآن؟»
قالت بيأس:«لا اعرف.» وهذا كان كذباً، فهي تعرف ما تريد ان يحدث الآن. ارادته ان يخبرها بأن كل شيء على ما يرام. ابعدت

نظرها عن وجهه الهادي، وحدقت في فنجانها.
قالت تراوغ:«ان أذهب لرؤية أهلي.»
«بعد ذلك؟»
همست:«لا اعرف.»
سألها:«هل اكتفيت من الرجال في الوقت الحاضر؟»
وكانت عيناه مركزتان على وجهها التعيس.
قالت بيأس وهي تنظر إليه:«نعم، كلا، أوه، اعني يا مات...»
«اسمع ليو يكون افضل.»
«إذا، ليو، انا فقط لا اعرف.» حدقت فيه، حاولت قراءة مشاعره التي في عينيه ولم تستطع. بدا غير مكترث كليا، وكأن كل الامور كانت افتراضات. سألته بفضول:«لمَ لم تخبرني عن اسمك الحقيقي؟»
«لأنني لم أكن اعرف إذا ما ذكرت لك والدتك أي شيء عني. هي تعرف اسمي مات ولم ارد تنبيهك إلى من أكون الى ان اعرف ماذا سيحصل. فلو عرفت منذ البداية من أكون وأن اهلك يعرفونني لما أعرتني أي انتباه.»
انكرت ببؤس:«لا اعرف، انها لم تذكر اسمك.»
قال بخبث:«كلا، هذا ما استنتجته.» وأخذ رشفة اخرى من فنجانه.
سألها:«ماذا أراد ريان؟»
اجابته:«انت.» ثم شرحت ما يريده ريان. توقعت

ان يستغرب، ولكنها فوجئت عندما شتمه، قبل ان يرتشف ما بقي من القهوة ووضع الفنجان على الطاولة. احنى يده على الرف الخشبي، وحدق بمزاج عكر في النار.
سألته مترددة:«ليو؟» وعندما أدار رأسه لينظر إليها، اضافت بسرعة:«لم أشعر بشيء تجاهه، لا شيء على الاطلاق.»
سألها بعدم اهتمام:«ولكنك لا تشعرين بأي شيء لأي رجل آخر ايضا، انت جبانة يا هيلاري جبانة وعاطفية.»
تنهدت بنفاد صبر، مشى نحوها. وعندما حدق بعينيها الواسعتين والخائفتين سألها بقسوة:«وأنا يا هيلاري، ماذا تشعرين تجاهي؟»
الحب، اردت ان تصرخ، ولكنها لم تستطع.
سألها:«ماذا؟ انت في السابعة والعشرين. لست طفلة هل تنوين تمضية بقية حياتك مسجونة في الوحدة مخافة ان تتأذي؟ او هل تنوين ان تمضي هذه الحياة متظاهرة انه كل رجل قد تقابلينه هو ريان؟»
صرخت مذعورة:«كلا! كلا! قلت هذا بدافع الغضب والارتباك لأنني لم أرد ان تعرف كم آذيتني.»
اجاب بغضب:«لم اؤذيك، تبا! انت أذيت نفسك بمخيلتك الواسعة.»

liilas.com

وافقته بتعاسة:«انا اعرف ذلك الآن، ولكن الا تستطيع ان تفهم لماذا؟ لم اعرفك، وقد بدا واضحا انك تعرف ريان، وانك اتيت من أجل الأرض.»
تابعت:«بدا كل شيء مناسبا. وكنت خائفة من الوثوق بحكمي فانا لا اعرفك جيدا.»
«وهل عرفت ريان جيدا؟ بالرغم من صداقتكما لبضعة اشهر.»
وافقته ببؤس:«كلا.» ولكن الامر مختلف هذه المرة، أرادت ان تخبره، هذه المرة هي على ثقة.
لكنها تابعت تقول:«هذا لن ينجح أليس كذلك؟ كل ما تريده هو ان تعاقبني؟»
وافقها بهدوء:«نعم، اريد معاقبتك.»
«سألته:«هل حقا شاهدت افلاما منزلية عني وهل انا لا شيء؟»
انكر:«كلا، لست لا شيء، لقد كنت غاضباً، ومتألما، وهذا الصباح، شعرت بالغيرة الشديدة، رأيته يحاول التقرب منك، وشعرت بغضب قاتل حتى انني اردت ان اقتله. فكرت انني تكبدت كل ذلك العناء من أجل ان اجلبك إلي وأعدت المال إليك، فقط لكي اعيدك إليه، هل حقا لم تشعري بشيء تجاهه؟»
اجابته بصدق:«هو ايضا لم يشعر بشيء تجاهي. لا بد ان الأمر كما قلت، وانك اتيا فحاول التقرب مني عن قصد، واحدة بواحدة.»

قال ايضاً انه ثري، ولكنها لم تعرف كيف تسأله. في هذا الوقت الغير مناسب، لا بد أنه سيتخيلها تبحث عن المال اكثر من أي شيء آخر.
تمنت لو أنها تستطيع التفكير بشيء تقوله لتجعله يثق بها، ولكن بعد سلوكها الغبي سابقا، اعتقدت انه سيمضي وقتا طويلا قبل ان يبدأ بتصديقها من جديد. ماذا لو اخبرته انها ستذهب الى استراليا؟
قالت بنعومة:«لقد بعثت برسالتي أمس.»
سألها بحذر:«وماذا؟»
اجابت بلطف:«سوف اذهب الى استراليا لقد كنت على حق، كنت غبية جدا.»
«نعم، وريان لا يعني لي شيئاً.»
«كلا حقا يا ليو، لا يعني لي شيئاً.»
اومأ:«حسنا.»
سألته:«سامحتني؟»
تمتم:«لا يجدر بي، لقد اتهمتني انني افضل بقليل من لص، غشاش، كما لو انني خططت كل ذلك فقط لأؤذيك، هل هذا ما اوحيته اليك؟»
اعتذرت بخبث:«قلت انني آسفة، وأنت كذبت علي.»
«حسنا، نعم، ولكن هذا لا يعني ان تقفزي الى كل انواع الاستنتاجات الاخرى.»
قالت:«حسنا، وماذا غير ذلك كان علي ان

افكر به عندما قالت جوين كل تلك الاشياء...»
استغرب:«جوين؟ وما دخل جوين بالأمر؟»
«حسناً، قالت...» توقفت عاجزة عن المتابعة عندما ادركت متأخرة ان ليو لا يعرف بأمر حديثها مع شقيقته، وعضت على شفتها. لو شرحت الأمر، فسوف تزج جوين بمشكلة.
حذرها بقوله:«لا أكاذيب، يا هيلاري، ما دخل جوين بالأمر؟»
حدقت فيه بتعاسة، شرحت بسرعة وباختصار وذلك لصالح جوين، فتمتم بوهن:«إذا لهذا لم استطع حقيقة ان افهم كيف استطعت الربط بين معرفتي بأهلك ومعرفتي بريان. لذا اعتقد انني أدين لك باعتذار.» ثم تابع بقسوة:«مع انني حين رأيتك عند باب المطبخ بكامل اناقتك بعد ان كنت مع ريان، اردت أي شيء عدا مسامحتك.»
نظر إليها متسائلا وتابع:«هل قالت شيئاً آخر؟»
«كلا فقط انها لا تراك كثيرا...» وفجأة تذكرت ما قاله الولد. لقد سألها ابن شقيقته إذا ما كانت هي من سيتزوج خاله.
سألها:«ماذا؟»
كان القلق يبدو من عينيها، فهي إذاً لم تخبره سيعتقد انها تخفي امرا ما عنه ومن الافضل ان يعرف كل شيء.

لم يقل ليو ابداً انه يريد ارتباطاً دائماً، ولكن إذا كان في نيته الزواج من إخرى فلم يتورط معها؟
حذرها:«هيلي، ماذا ايضا؟»
اسرعت:«سألني ابن شقيقك إذا كنت انا من ستتزوجها وكنت اتساءل...»
سأل بلطف:«لماذا اكون معك إذا كنت سأتزوج من اخرى، ألم يخطر ببالك انه انت من كنت اقصد؟»
«طبعا. خطر لي! ولكنني فقط لم اكن اجرؤ على الأمل بذلك.»
«ألم تتوقعين الزواج مني؟ ماذا كنت تتوقعين إذا؟»
حدقت فيه بارتباك واعترفت:«كيف لي ان اعرف ماذا تريد؟ لقد كنا غريبين في الفترة الاخيرة...»
أنكر بنعومة:«ذلك لم يغير من مشاعري، مع علمي انك تمسكين بالنهاية الخاطئة للعصا.»
قالت ببساطة:«لأنه، لم يخطر ببالي انك عازم على الزواج مني، او على الأقل لم اجرؤ على الأمل بذلك، الى جانب اننا بالكاد نعرف بعضنا البعض.»
نظرت إليه نظرة جانبية، وابتسمت بارتباك ثم همست:«هل حقا تريد الزواج مني؟»
«نعم، انا حقا اريد الزواج منك. لماذا تجدين ذلك غير معقول الى هذا الحد؟ بالنسبة الى اننا لا نعرف بعضنا البعض، لدينا بقية حياتنا لإكتشاف ذلك.»

سألته بحذر:«هل انت غير قلق من أنه لربما وجدت بعض الأمور التي قد لا تعجبك بي؟ اشياء قد تغيظك؟ مشاهدتك لي في فيلم منزلي، ومعرفة غير عميقة عن شخصيتي لا تعني انك تعرفني يا ليو فهناك العديد من الأمور عني...»

سألها بمرح:«مثل؟»

فسرت له:«حسنا، لا اعرف، ربما اترك دواء الاسنان دون غطاء.»

«حسنا، هل تفعلين ذلك؟»

«كلا.»

«إذا كفي عن هذه الاعذار السخيفة.»

سألته بنعومة:«هل حقا وحقيقة تريد الزواج مني؟»

«نعم.»

توجهت الى المطبخ لتجلب العصير من البراد، مع ان فكرة شرب العصير البارد على معدة خاوية لم تكن بالفكرة الحكيمة ولكن من يريد ان يكون حكيما؟

الفصل السابع

عندما اجتازت هيلاري الردهة، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام ريان. غابت الابتسامة عن وجهها، سألته بعنف:«ماذا تفعل هنا؟»

قال بازدراء:«ابحث عن صديقك طبعاً وماذا غير ذلك؟»

«إذا لما لم تطرق الباب؟»

«لأنه لن يرد، وأنا عازم على الحصول على مالي.»

الاستهزاء باد على وجهه بينما كان يقول بلطف:«ربما كنت مخطئا في اخراجك من حياتي، آمل ان يقدرك فيرلاندر جيداً.»

شعرت بالغضب الشديد من كلامه، الامر الذي جعلها تصفعه بقوة، ثم قالت:«والآن اخرج.»

لم تتدهش عندما رفع قبضته يريد معاقبتها.

حذره ليو ببرودة:«لا تجرؤ حتى على التفكير بذلك.»

راقبت وجه ريان، كان عليها ان تعطيه نقاطاً في الشجاعة، لم تكن لتجرؤ حتى هي نفسها على مواجهة ليو بهذا المزاج.

أشار ليو بحركة متغطرسة من رأسه بأن تعود الى غرفة الجلوس، وبينما كانت تراقب الرجلين أبعدت

اخيراً وإلى الأبد أي مشاعر ربما كانت تحملها لريان. رأته على حقيقته وما عليه من ضعف، انه مخادع، غشاش، وعندما كانت على وشك الابتعاد، رأت ريان يبدأ بالتحرك ويحاول الامساك بذراع ليو.

صرخت محذرة، ولكن جاء تحذيرها متأخراً وأخذت تراقب بذهول ودهشة كيف تقدم وبحركة سريعة جداً رفع ريان الى أعلى من حنجرته وأسنده الى الحائط، عندها اسرعت نحوهما لتمسك بذراع ليو في محاولة لإبعاده.

صرخت:«كلا! كلا، يا ليو، دعه يذهب.» ظنت في بداية الأمر انه لن يصغي إليها، فقط عيناه كانت الحياة تدب فيهما وهو يحدق بريان، وبعدها افلته فسقط سقطة قوية على الأرض.

قال ليو ببرودة دون ان ينظر إليها:«قلت لك ان تذهبي الى غرفة الجلوس، هيا اذهبي الآن.»

نظرت بخوف إليهما، ثم ذهبت بتردد الى الغرفة الاخرى، وأخذت تسير ذهابا وإيابا غير متأكدة مما سيحصل.

اخيراً، قررت ان تسترق النظر اليهما من الباب المفتوح جزئيا.

رأت ليو فيما مضى غاضب، هازئ، سمج، ولكنها لم تره ابداً يبدو عليه الإجرام الى هذا الحد، مجرد

من إي شعور إنساني، الأمر الذي جعلها ترتعش خوفا.

فجأة لم تعد ترى الرجلين وتصورت كل انواع المآسي بما فيها القتل، فمشت ببطء في الردهة المؤدية الى المطبخ ودخلت إليه، ونظرت حولها.

سألها ليو ببرودة من خلفها:«إذا كنت قلقة الى هذا الحد بشأن سلامته، أما كان من الافضل لك لو تلحقين به؟»

استدارت حولها متفاجئة، ونظرت إليه باستغراب:«أذهب وراءه؟ لماذا علي ان أذهب وراءه؟»

«لأنك تبدين مهتمة جداً بشأن سلامته.»

«أوه، لا تكن سخيفا! لم اتركك تدعه وشأنه بسبب هذا، كم تحب القفز الى الاستنتاجات...»

قاطعها بازدراء:«انا من يقفز الى الاستنتاجات؟»

تابعت بحدة متجاهلة كلامه:«اردتك ان تدعه لأنني لم ارد زيارتك في السجن ورؤيتك تمسك بالقضبان الحديدية.»

«هل حقا كنت ستزورينني في السجن؟»

اجابت:«هل تتوقف عن ذلك؟ بالطبع كنت سأزورك، يا غبي. تعرف ما هو شعوري تجاهك، الا تعرف؟»

سألها متنهداً:«هل اعرف؟» مرر يده المتعبة في

شعره، ولاحظ خوفها فتابع مازحاً:«أبسبب هذا تتسللين وتبدين مثل بوكاهونتاس؟»

«كنت قلقة عليك، إعتقدت انك بحاجة للمساعدة، او أي شيء آخر. إذاً أين هو؟»

«لماذا؟ هل تريدينه؟»

«كلا، لا أريده، ولا تبدأ بذلك من جديد. إذاً، اين هو؟»

«ذهب.»

بحثت في عينيه، غير متأكدة كلياً انها تصدقه، مشت حواليها وإلى الردهة، لكنها لم تر أي أثر له ووجدت ان الأمر قد يبدو سخيفا لو نظرت تحت الاثاث، عادت ادراجها لتجد ليو يقف عند الباب، ويديه مطويتان الى صدره.

سألها بلطف:«تبحثين عن بقع من الدم؟»

حدقت فيه وأجابت:«كلا.» فجأة ابتسمت بوداعة قائلة:«عفواً، هل ضربته من جديد؟»

«اهتمي بأمورك الخاصة.»

اشارت قائلة:«كدت ان تشتقه.»

«كدت ولكنني لم افعل. انما يمكنك الوثوق تماماً بأنه لن يزعجك مجددا.»

قالت بإحباط:«ولكن ماذا فعلت؟»

«هذا يكفي.»

لم تكن مقتنعة تماماً بهذه المعلومات القليلة

عندما كانت تريد كل التفاصيل، عادت الى الردهة، فلحق بها قائلا:«ألا تريدين كوب عصير؟»

قالت برجاء:«ارجوك، اعتقد انني بحاجة إليه.»

«حسناً، سآتي به.»

عندما ذهب، اشعلت نار المدفأة وجلست على المقعد الجلدي تحدق في الجمرات المتأججة.

سأل ليو بنعومة من ورائها:«إذا وعدت بإعادة غطاء دواء الاسنان الى مكانه، هل تتزوجينني حالما اعد الترتيبات اللازمة؟»

استدارت هيلاري لتنظر إليه، وأخذت الكوب منه، ثم شاهدته يمشي الى حيث المقعد الوثير.

سألها عندما لم يفهم النظرات التي توجهها إليه:«لماذا انت مترددة يا هيلاري؟ تريدين التأكد من اوراق اعتمادي اولا؟»

«كلا، اعتقد انني فعلت ذلك.»

ضحك ورمى الوسادة إليها.

التقطتها بيد واحدة، وقالت ببطء:«ليس هذا سبب ترددي، ولكنني اجد انه من غير المعقول انك تريد الزواج مني.»

وافقها:«معك حق، انه غريب قليلاً، اعني، انني واع جدا، عقلاني...»

رمته بالوسادة من جديد، لكنها لم تصب الهدف منه، فقال:«لما تجلسين بعيدة هكذا؟»

«لأنني لا استطيع التفكير جيداً عندما اكون قريبة منك. هل تعيش بالقرب من والدتي ومايك؟»
اجاب:«ليس بعيداً، بضع مئات من الاميال. ويضع دقائق في الطائرة. تريدين توضيحات اكثر؟ حسناً، إسمي ماثيو هازليون فيرلاندر. عمري ستة وثلاثون عاماً، وعلى ما يبدو، أملك نصف استراليا.»
سألته بوهن:«انت ماذا؟»
ردد:«املك نصف استراليا، حسناً ربما هذا مبالغ فيه قليلاً. ربما الثلث فقط.»
اتهمته قائلة:«قلت انك تعمل في العقارات.»
«انا كذلك.»
«ولكن ليس كوكيل عقاري؟»
«ليس بالتمام.»
اصرت:«ماذا إذاً، تبيع وتشتري؟»
«كلا. في الغالب انا أملك. أوه، بضع آلاف من الاكرات هنا وهناك...»
«ليو!»
سألها ببراءة:«ماذا؟»
سألته مترددة:«انت ثري، إذاً؟ ريان قال انك كذلك.»
سألها محتداً:«أوه، لماذا يدخل اسمه في كل حديث؟»
«كلا، ولكن عندما وجدتك لا تريد اخباري أي

شيء، كان علي استعمال مصادر اخرى. وأعتقد ان الملابس الرثة التي كنت ترتديها لم تكن سوى لتضليلي.»
بدا وكأنه أهين فأجاب:«ملابسي الرثة! يجب ان تعرفي جيداً انني اختار ملابسي العادية بعناية كبيرة. انا لست خجلاً من ذلك.»
«لكنك ثري، ثري جداً.»
«حسناً، لا تجعلي الأمر يبدو وكأنني انقل عدوى المال الوفير، لهو بالأمر الرائع كما انه فكرة جيدة، ولكن الى أي حد هو ثري؟ تساءلت وبدأت تشعر بالخوف إذا كانت من اصحاب الألقاب الرفيعة، فكيف تستطيع التعامل مع هذا النوع من الحياة؟ فهي ليست سوى ممثلة وكالة سفريات وليست...
قال بنعومة قاطعاً افكارها:«هيلاري، تعالي الى هنا.»
«كلا.»
حذرها:«هيلاري...»
صوته كان ناعماً ولطيفاً، وبدا مرتاحاً، ولكن النظرة في عينيه كانت توحي بعكس ذلك.
وقفت ببطء، وذهبت لتقف الى جانبه، فقال مؤكداً بلطف:«انا احبك يا هيلاري. صدقي ذلك ارجوك. اعتقد انني احببتك دائما ولا حاجة لك لتبدي هذا الاستغراب. كان الامر صحيحاً بخصوص الافلام

المنزلية وجزء منه على كل حال. والدتك تتكلم عنك دائما، فهي تفتقدك كثيرا، كما ان مايك يتحدث عنك بفخر واعتزاز وبينما كنت استلقي في غرفتهم الاضافية، وليس لدي ما اقوم به، فكرت بك انا ايضا. فكرت بعينيك الضاحكتين، بابتسامتك الدائمة، ومثل مراهق، اخترعت أحلام يقظة عنك. ولكن هذا كان كل شيء في ذلك الوقت. الاحلام تأتي من الملل او الالم او من كليهما، عندما سمح لي أخيرا بالنهوض والخروج وذهبت الى منزلي توقعت ان انساك. كوني بالغ الثراء عرفت انني سأجد العديد من النساء ليجعلنني انسى ولكنني لم استطع...»

قاطعته هيلاري بدهشة:«هذا مبالغ فيه.»

تابع قائلا:«على كل، كل ما استطعت رؤيته في تلك النساء، هو عينيك وابتسامتك الواسعة، وبعد عدة اسابيع قضيتها ملاحقا من خيالك الجميل قررت ان اتي الى انكلترا. كنت مقتنعا انني حالما أراك سوف أشفى مما انا عليه، فاتصلت بوالديك وطلبت عنوانك...»

قاطعته:«ألم يطلبوا منك فعل ذلك؟»

«كلا...»

«ولكنك قلت...»

«اعرف ما قلت، ولقد كان ذلك بدافع الكبرياء.»

ثم تابع يشرح مبتسماً وقد تمكن من تهدئة حدة غضبها بنجاح.

فقال:«بعد ذلك كتبت لجوين ادعو نفسي لقضاء عدة اسابيع عندها. اعتقدت لجهلي ان بلدة لوركومب في نهاية طريق نورويش، عندما اكتشفت ان المسافة تلتزم ساعة من القيادة، لذا تمكنت من اقناع الكولونيل بأن يؤجرني منزله.»

سألته باستغراب:«هكذا وبكل بساطة، طرقت باب منزله وطلبت منه ذلك؟»

«طبعا، كان بالغ السرور، خصوصاً عندما شرحت له السبب.»

تمتمت:«بالتأكيد، هذا ما يحصل عادة.»

وافقها:«ربما.»

«إذا الى اين طلبت منه ان يذهب؟»

«الى منزلي، بالطبع رتبت رحلته، اتصلت بمدير اعمالي ليقابله و...»

سألته باستغراب منذهلة:«تكبدت كل ذلك العناء من أجلي؟ وكل تلك المصاريف؟»

امتلأت عيناها فجأة بالدموع. وبدا لها كل ذلك غير مفهوم.

اخبرها بجدية:«كنت لأفعل اكثر من ذلك بكثير يا هيلاري، ألا تعتقدين انك تستحقين ذلك؟ لقد اردتك. وما أريده عادة، احاول قصارى جهدي لأحصل عليه.»

liilas.com

شعرت فجأة بالخجل، ونظرت الى الاسفل ثم سألته بصوت اجش:«وبمقابل رحلة الى استراليا اخبرك الكولونيل كل شيء عني.»

شرح بلطف:«لم تكن غلطته، جعلته يعتقد انني اعرف كل شيء، وهو شرح ذلك فقط لأنه كان معجباً بك.»

«اعتقد انه ما كان عليك سوى ان تومض ابتسامتك بوجه نساء القرية لتجعلهن يخبرنك بكل شيء.»

مازحها قائلا:«هل تعتقدين إذا، ان النساء الاخريات ربما يجدن ابتسامتي رائعة؟»

اعترفت:«نعم.»

«جيد. كنت شبه محضر لأن اكرهك من مجرد رؤيتك، ومقتنع ان مقابلتك سوف تبعد الأوهام عني، ولكن في نفس الوقت لم أرد ان يحدث ذلك ابداً. لكن الذي لم اكن مستعداً له هو مظهرك في البداية حيث بدوت ضائعة وبائسة، وهاتان العينان الجميلتان مليئتان بالظلال حتى انني وللمرة الاولى في حياتي المضنية والمملة، شعرت بأنني وقعت في الحب.»

«كلا...»

أصر بنعومة:«نعم.»

نظرت بسرعة إليه، وحدقت في عينيه، شاهدت الدفء والمرح والحب.

شعرت بالوهن عندما تذكرت بعض استفزازاته فعبست قائلة:«هل توقعت مني ان اعرف؟»

«نعم، اعتقدت ان النساء على معرفة دائمة، وهل تعتقدين بصدق انني عادة اسمح للنساء بصفعي على وجهي؟ ليس مرة بل مرتين؟ ولأنك سلبت قلبي لم اعاقبك.»

سألته ضاحكة:«سلبته؟»

«نعم، فالحب لا يحتاج لأي سبب ليثبت وجوده، فهو فوق أي تفسير، وكل الاقتناعات عما تريدين او تحتاجين، وعندما رأيتك تلاشت من عقلي كل الافكار عن الشقراوات الرائعات، وتعلقت بك، وأدركت انني لن استطيع تركك تذهبين.

كنت سأشرح عندها ولكنني شعرت بالجبن، عندما قوطعنا. اعتقدت انني اعرف ما قد تكون ردة فعلك، ولكن فكرت لشدة كبريائي انني إذا شرحت كل شيء، عن البيع والأرض ومالك المرتجع، سوف تكونين ممتنة الى درجة ان تقعي بين ذراعي.»

أصبح وجهه جدي عندما اضاف بلطف:«هل ان مشاعرك هي نفس مشاعري؟»

اجابت:«انت تعرف كيف اشعر.»

«كلا، لا اعرف.» امسك بوجنتيها لكي يتمكن من التحديق بعينيها وسألها بهدوء:«هل بإمكانك ان تحبينني؟»

رددت بارتباك:«بإمكاني.»
«هل تعتقدين انه بإمكانك ان تحبيني في يوم من الأيام؟»
حدقت فيه، وقالت بوهن:«أوه، يا ليو، كيف تسأل مثل هذا السؤال؟ انا احبك كثيرا الآن، كما لا شيء مما فعلته او قلته كان سيغير ما اشعر به تجاهك، لو لم افعل، عليك ان تعرف ذلك.»
لكن كيف له معرفة ذلك؟ فهي نفسها لم تعرف حتى البارحة.
قال موضحاً:«ما افهمه عن الحب، هو يجب ان ينمو مثل وردة رقيقة، عليه ان يسقى، ويبقى دافئا...»
«انا لا اذكر إطلاقا انني سقيت هذا الحب، فقد كنت اصرخ وأستعر وأهين وأصفع.»
قال بابتسامة صغيرة مرحة:«حسناً، هذا كان نوع من السقي ولكن كان عليّ ان ادفعك لذلك كي اخرجك من حزنك، لأنني كنت اريد هيلاري ان تعود الى طبيعتها.»
دمعت عيناها من جديد، وقالت:«اوه، يا ليو! لقد سببت لك الآلام المبرحة؟»
اجابها بحنان:«لقد كنت متألمة ويائسة وكان عليّ ان اساعدك.»
اصرت بنعومة:«ولكنني لم اعد ذلك، وأنا احبك حقا، ليس لدي ادنى شك بذلك...»

«ما الذي يقلقك إذاً، العيش في استراليا؟»
«لا، انما لو كنت بالرجل العادي، لما كان هناك أي مشاكل.»
«انا رجل عادي.»
«كلا، انت لست كذلك! ليس من شخص يملك نصف استراليا هو رجل عادي. الزواج اكثر من الحب والاهتمام والقيام بالاشياء معا. إنه التواجد جنبا الى جنب، والمشاركة بروح مرحة وساخرة، هو ان تبقى على حبي حتى عندما اصبح عجوزا شمطاء.»
قال محاولاً تهدئتها:«فتاتي العزيزة، لا يمكن لك ابدا ان تصبحي مثل عجوز شمطاء امامي، لا؟ كنت نكرة، متغطرسة، وقاسية جدا في اغلب المناسبات التي تقابلنا بها، وهذه نواحيك السلبية، وأدرك جيدا انه هناك ايضا نواحي ايجابية رائعة فيك، لذا من الصعب عليّ ان اقع فريسة أي اوهام، لا؟»
اخذت تنهيدة طويلة، بينما كانت تتساءل كيف ستفسر كل الاشياء الاخرى التي تزعجها.
اعترفت قائلة:«ليس فقط لك، انا تقريبا لا اعرف أي شيء عنك، وإذا كنت مهما وثريا، فأنا اتوقع انك تستقبل العديد من الاصدقاء وشركائك في العمل مما يعني انك تحتاج الى شخص يمكنك الاعتماد

عليه، ولا اعرف إذا كنت استطيع! انا عادية جداً، ليو.»

«أوه، هل يمكن ان تتوقفي عن هذه السخافات؟ اصدقائي وشركائي ليسوا وجهاء اتعرفين، انهم اشخاص عاديين، مثلي، انني لا اعيش بصورة مختلفة عن الآخرين! حياتي كتاب مفتوح... انا لست رجلا خارقا، لكنني مأخوذ بافتراضاتك، الحقيقة انني عادة مشغول جدا بالاجتماعات، صدقيني، حبيبتي بعد يوم عمل في الخارج مع الاحصنة انا...»

سألته مستفهمة:«احصنة؟ قلت انك تعمل في مجال العقارات!»

اصر متشددا:«انا كذلك، لدي مزرعة للخيل.»

حدقت فيه، في القوة، في القامة التي تبدو منبعثة منه دائما على الرغم من مظهره البارد والهادئ، ولم تصدق شيئا مما قاله.

سألها بلطف والإغاظة بادية في عينيه:«ألا تحبين الاحصنة يا هيلاري؟»

وافقته بوهن:«اجل، احب الاحصنة.» وبعد ذلك لم تكن قادرة على التفكير بأي شيء آخر لتقوله عن الاحصنة، سألته عن شيء بدا اكثر اهمية بكثير:«هل عرفت الكثير من النساء، يا ليو؟»

«واحدة او اثنتين، هل يزعجك ذلك؟»

اجابت بصوت حاد:«نعم ففكرة معرفتك النساء الجميلات تمزقني إربا.»

سألها متجهما:«إذا تفهمين كيف اشعر حيال ريان، لا؟ هل تعتقدين انني لم اسمع ما قاله لك؟»

عارضته من دون تفكير:«ولكن ذلك مختلف.»

«هل هو كذلك؟ لماذا؟»

«لانه، حسنا، لأن الأمر لم يكن كما كان معك.»

أصر بخشونة:«ألم يكن؟»

نظرت إليه بطرف عينيها وقالت:«كلا، كلا، لم يكن.»

كانت مسرورة لأنه يشعر بالغيرة، سألته:«هل يزعجك ذلك حقا؟»

قال ببساطة:«نعم، فكرة لمسه لك اولاً، ومحاولة ضمك بين ذراعيه، امر سوف يدفعني للجنون.»

«ولكنك لم تضربه...»

«ألم أفعل؟»

رمته بنظرة حادة وسألته:«هل فعلت؟»

«يا لك من فتاة متعطشة للأذى، ليس هكذا، كلا، هناك اساليب اخرى للتعامل مع الجرذان مثل ريان، الأساليب التي لا تترك آثارا.»

سألته:«لم تخبرني ابدا كيف تمكنت من الحصول على لمال منه.»

«فعلت معه ما فعله معك، في البداية عندما وجدته،

وهذا ما لم يكن صعباً، عرضت عليه خمس آلاف باوند مقابل الارض...»

استعلمت منه بدهشة:«ولكنه ما كان ليقبل بذلك.»

قال لها:«اعرف، إذا لم تتوقفي عن مقاطعتي فلن اخبرك.»

«ضحك ريان في وجهي كثيراً، وهذا ما كنت اتوقعه. وبعد ذلك بدأت ابحث عن شار حقيقي، ولهذا احتجت لأن اعرف أي نوع من إذن التخطيط يقبله المجلس، إذا كان لديك إذن، فإنه اسهل عليك بكثير بيع الارض. عندما تأكد لي ان الاذن سيكون مضموناً لمنزل واحد، بغير حجم معين جلت عند وكلاء العقارات، افتش عن مشتر.»

تدخلت قائلة:«ووجدت واحدة؟»

الرجال امثال ليو يحصلون دائماً على ما يبتغون، بما في ذلك الزواج منها. اعترفت في نفسها بقسوة ثم قالت:«تابع.»

فتابع كلامه قائلاً:«كما أشرت انت، وجدت واحداً، واحدا اراد ان يدفع مبلغا محترما. بعدها، بطريقة استرالية حقيقية، استأجرت شابين ليؤلفا حديثا ويتحاورا به في المقهى التي يتردد عليها ريان، واعترف ان بعملي هذا اصبت الهدف. متأكدا ان ريان في الداخل، دخلا وجلسا بالقرب منه. وبدأ حديثا عاديا عن الارض، وقد قال احدهما.

انه لو كان يملك أي أرض في نورفولك لتخلص منها بسرعة لأن المجالس كانت تتشدد في التمنع على اجراءات البناء، والارض في المستقبل سوف تستعمل للأهداف الزراعية فقط.»

ضحكت بسرور وسألته:«وسمع ريان ذلك الحوار؟»

«طبعا، ريان ليس بحذق تعرفين ذلك، انه خبيث جشع، ولكن ليس نابغة. ذلك اليوم حين جاء الى مركز فرانك التجاري يبحث عني، ورؤيته لي معك كاد ان ينسف كل الأمر، لقد تطلب مني الوقت الطويل كي اقنعه انني كنت معك بقصد اقناعك بأن...»

«بأن أقنع الكولونيل ليطلب من اصدقائه في المجلس ان يرفعوا الخطر عن التخطيط.»

«يا لك من فتاة ذكية! لذا، صدقني واشتريت الأرض منه. بعد ذلك بعتها للمشتري الأصلي، وأعدت المال لك...»

«وعرف ريان بالأمر؟»

«تأكدت من معرفة ريان بالأمر. وإلا ما كان الجدوى من ذلك؟ كان علي التأكد انه عرف بأنه خدع.»

«لهذا كان يبحث عنك، مع انه كيف توقع اقناعك بأن تدفع الفرق له هذا ما لا اعرفه؟»

اجابها بابتسامة خبيثة:«لكنني دفعت له الفرق اليوم.»

ضحكت ثم قالت:«لم يكن ذلك تصرفا حكيما منه. وأنت فعلت كل ذلك من أجلي؟»

liilas.com

قال:«طبعاً، لم افعل ذلك من اجلي أنا.»
وافقته بنعومة:«كلا.» مع انها كانت لا تزال تجد صعوبة في التصديق بأن احداً ما يتكبد كل تلك الصعاب من اجلها.
حثها بلطف:«صدقي ذلك يا هيلاري.»
«نعم صدقتك.»
«سوف يكون للسيدة هيلاري فيرلاندر خاتم جميل.»
ثم اضاف مؤكداً:«الا تعتقدين ذلك؟»
لفت يديها حول عنقها:«نعم، اعتقد.»
عرض عليها:«استطيع تأسيس معمل لك، وسوف أدعك تمتطين احصنتي.»
همست:«لم تشاهدني امتطي جواداً؟»
«هذا لا يهم. انا احتاجك يا هيلاري. انا لا اعرف لماذا انت دون كل الناس.»
كان وجهه هادئا وكأنه حلم وعيناه الرماديتان تومضان بالعاطفة عندما قال:«أوه، يا هيلي، كم احبك.»
همست:«آه، ولكن ارجوك لا تتوقف عن حبي.»
«كلا.»

تمت